شوقي أبو خليل



دار الفكر

تصوير ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
عن ط ١ - ١٩٨٢ م



سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - برقياً : فكر - تلكس Tx FKR 411745 Sy



غزوة أحد

عاقبة المخالفة

ما بدأ النبيّ صلّى الله عليه وسلم

حرباً قطّ، إذ كان حريصاً أشد الحرص على الدم الإنساني ..

فهو نبيّ المرحمة .

ولكن إذا كانت الحرب واقعة

كان رجلها الأول .. فهو نبيّ الملحمة .

لقد كان عظيماً في رحمته بالناس ،

عظيماً في استعداده للحرب ، عظيماً في

خططه ، عظيماً في تحقيق النصر

واستثماره ..

شوقي



بسم الله الرحمن الرحيم

تَصْدِيْرٌ

☆ ﴿ ولاتَهِنُـوا ولاتَحْـزَنُـوا وأنتُمُ الأَعْلَـوْنَ إن كُنتُم مُـؤْمِنين ، إن يَمْسَسكُم قَرْحٌ فقـد مَسَّ القَـوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وتلكَ الأيامُ نُداوِلُها بينَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الذينَ آمنوا ويتَّخِذَ منكم شُهَداءَ ، واللهُ لايُحِبُّ الظالمينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٣٩ / ١٤٠]

هُزِمت قريش ببدر ، فسارت في شوال السنة الثالثة للهجرة ، باتجاه المدينة المنوَّرة تريد ثأرها ، فكانت غزوة أُحُد ، وكان خطأ الرماة الذي قرر مصير المعركة .

وفي حياة رسول الله ﷺ حدثان متميِّزان ، أُحُد ، وحُنين .

ففي أُحُد وقع خطأ فني حربي مادي ، عندما خالف الرماة الأمر العسكري .

وفي حُنين وقع خطأ أخلاقي معنوي تربوي ، عندما قال بعض المسلمين : « لن نُغْلبَ اليومَ عن قِلَّة » .

وإن كنا ندع الحديث عن حُنَين إلى حينه ، فإننا نقول : في أُحُد ماأخطأ رسول الله ﷺ ، بل أخطأ الرماة ، في اجتهاد خاطئ ، فَسبَّبُوا ماسبَّبوا ، تركوا النصَّ ، وهو أمر رسول الله ﷺ الذي لايحتمل التأويل ، إلى التحليل والتأويل ؛ فوقعوا في المخالفة .

ومع ذلك لم تحقق قريش ماأرادت ، على الرغم من الخطأ الفادح المُرْتكب ، والذي ساق إليها النصر ، وهي المهزومة المندحرة .

فإن أرادت ثأراً لقتلاها ببدر ، فقد حققت مطلباً .

وإن أرادت استعادة لهيبة أو سمعة مهدورة ، فقد حققت ذلك إلى أجل .

ولكن إن أرادت الأمر الأهم الأعظم ، ألا وهو القضاء على المسلمين ، والقضاء على رسول الله ﷺ لتسطيع فتح طريق تجارتها إلى الشام ، فهذا مالم تستطع تحقيقه .

وفي غزوة أُحُد دفع المسلمون ثمن مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، كما كشفت أُحُد مدى استعدادات المسلمين المادية والروحية .

في أُحُد منع الله عز وجل النصر عن المسلمين ، كي لاتتعلَّق القلوب بغير الله ، فخطأ واحد مع كل الفضائل المجتمعة ، ماحال دون العقوبة والجزاء . فكانت أُحُد درساً مُؤَثِّراً ، عمَّق الإيمان ، مع خالص الحب

والطاعة لرسول الله ﷺ ، ففازوا بكامل الإيمان ، فجاء النصر الدائم المستمر ، حتى فتح الله عليهم مكة المكرمة .

أُحُد .. امتحان واختبار ، لاليعلم الله النتيجة ، فعلمه سبحانه سابق ، الامتحان والاختبار ليعلم المسلمون أنفسهم ، فكانت أُحُد ونتائجها عملية طهارة وتزكية ، وعودة إلى سلامة النفس ، وطهارة القلب .

اختبار أُحُد ليعرف المسلمون مراحل إيمانهم ، وإلى أَيَّة مرحلة وصلوا ، فمن آثر الآخرة على الدنيا ومغانمها ، ازداد إيماناً وعُلُوّاً ، ومن آثر الدنيا ومغانمها على الآخرة ، استدرك ، ولحق بعد أُحُد بمن آثر الآخرة على الدنيا .

وفي أُحُد كان بإمكان رسول الله ﷺ ، وبمدد إلهي ، أن يهزم قريشاً بحفنة تراب ، ولو فعل ، لَبَطُل الجهاد ، لقول من بعده ﷺ : ونحن بحاجة إلى حفنة تراب لنهزم الأعداء ، ولاوجود لتلك اليد التي ترمي هذه الحفنة ؛ إذن .. فلاجهاد ..

أُحُد .. لبنة في استكمال بناء الشخصيَّة الإسلامية ، وتأكيد على أن الإسلام ـ مع الأحكام ـ عمل قلبي ، وتذوُّق وجداني ، وشعور روحي ، وطاعة تامة ، والتزام كامل لايقبل شائبة أو مخالفة .

وبعد المخالفة ، جاء العزاء من الله سبحانه ، مع عفوه ، للمسلمين ، فكان تضميداً للجراح ، وتبديلاً للنفوس من الوهن إلى القوة ، ومن اليأس إلى الأمل .. فانتقلوا إلى حمراء الأسد يحمل بعضهم بعضاً ، فكأنَّما أحياهم بعد موت ، وأوجدهم بعد عدم .

إلى حمراء الأسد كي لايظن العدو أن المسلمين قد انهزموا نفسياً ، أو معنوياً ، أو قلبياً ... ومع أنهم لايستطيعون المشي من كثرة جراحاتهم ، حملهم إيمانهم لاأبدانهم ، وحملهم يقينهم لاصحتهم وأجسامهم .

وبذلك الإيمان ، وبهذا اليقين ، ماقالوا : نحن جرحى ، فكيف المسير إلى حمراء الأسد بعد يوم واحد من غزوة أُحد !! وماوقع في نفوسهم عدم صلاحهم للقتال ، وقال ﷺ : « وأن لايخرجنَّ معنا أَحَدٌ إلا من حضر يومنا بالأمس » ، فرفض ﷺ بذلك الجنديَّ سليمَ الجسدِ مريضَ القلب ، وقَبِلَ الجنديَّ جريحَ الجسد معافى الإيمان ، صحيحَ القلب ، فساروا وجراحاتهم في صدورهم وليست في ظهورهم ، واستجابوا بعد أن مسَّهم القرح .

☆ ☆ ☆

وعلى الرغم مما جرى في غزوة أُحد ، تجلَّت عظمة رسول الله ﷺ فيها :

- في فَرْضه ميدان المعركة على قريش .

- وفي إحرازه النصر سريعاً قبل مخالفة الرماة .

- وفي فكّه الطوق الذي فُرِض على المسلمين ، والذي كان كافياً لإفناء جيش بكامله .

- وفي يأس قريش من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناؤهم أمراً ممكناً سهلاً ، يحقّقه جيش أقل عدداً من جيش قريش .

لقد كان رسول الله ﷺ قائداً فذّاً ، جنّب جُنْدَه الخطر المحقَّق بمهارة وحنكة ، وأعاد لهم هيبتهم بعد يوم واحد فقط بمناورته الرائعة إلى حمراء الأسد ، فانسحب ابو سفيان ومن معه مكتفياً بصورة فوز ، وسمعة انتصار ، لن ينال مثلها مطلقاً ، وسيفتح الله على نبيِّه ، وسيدخل مكة ، لاليذل قريشاً ، ولالكي يحطِّم كبرياءها ، لا .. فبعد أُحُد استغفر لقريش قائلاً : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون » ، ولما أراد أبو قتادة الأنصاري التمثيل من قريش ، لما رأى من المُثْلة بالمسلمين ، قال ﷺ : « ياأبا قتادة إن قريشاً أهل أمانة ، من بغاهم العواثر أكبَّه الله تعالى إلى فيه ، وعسى إن طالت بك مدّة أن تحقر عملك مع أعمالهم ، وفعالك مع فعالهم ، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله » .

صلى الله عليك ياسيدي يارسول الله ، لقد كنت رائعا في جهادك ، ورائعا في مجال التربية والأخلاق والمحبة ..

لقد انتصرتَ على التخلُّف فحل التقدم .

وانتصرتَ على الذل فحلت العزّة .

وانتصرتَ على الجهل فحل العلم .

وانتصرتَ على الشرك والأصنام فحلّ الإسلام والإيمان .

وانتصرتَ على القبلية والعصبية فحل التوحُّد والوئام والإخاء .

جئت - صلى الله عليك - فأطفأت عداوة العرب وعشائريتهم وشتاتهم ، وأضأت نور المحبة بين القلوب ، فقامت مجتمعة للهداية والتحرير .

اللهم اجزه عنا خير ماجزيت نبياً أدّى الأمانة ، وبلغ الرسالة .

وإلى أُحُد .. ومافيها من أحداث ، على بركة الله ، فهو من وراء القصد ..

☆ ☆ ☆

شوقي أبو خليل
دمشق - سورية
ص . ب : ٦٢٢٢

دمشق : ٧ / ٦ / ١٤٠٢ هـ
الموافق : ١ / ٤ / ١٩٨٢ م

أسباب أحد

☆ ﴿ إنّ الذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُون أمْـوالَهُم لِيَصُـــدُّوا عَن سَبيــلِ اللهِ ، فَسَيُنفِقُـونَهَا ثُمَّ تكـونُ عليهم حَسْرَةً ثم يُغْلَبُـونَ ، والـذينَ كَفروا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون ﴾ .

[الأنفال : ٣٦]

لما أُصيب من كفار قريش أصحـاب القليب ، ورجع - بعـد غزوة بـدر - فَلُّهم[١] إلى مكـة ، ورجـع أبـو سفيـان بن حرب بعير التجـارة ، مشى عبـد الله بن أبي ربيعـة[٢] ، وعكرمـة بن أبي جهل ، وصفوان بن أميَّة في رجال من قريش ممن أُصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بـدر ، فكلَّموا أبا سفيان ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . وكانت تلك العير مـوقـوفـة في دار النـدوة لم تعـط لأربـابهـا[٣] ، فقـالـوا : يـامعشر قريش ، إن محمداً قد وتركم[٤] ، وقتل خياركم ، فأعينونـا بهـذا المـال على

---

(١) « فَلَّ » الجيشَ : هزمه ، فَلَّه فانفلَّ أي كسره فانكسر ، « مختار الصحاح ، ص ٥١٢ » .

(٢) الاكتفاء ، جـ ٢ ص ١٠٠ ، وفي ابن هشام : عبد بن أبي ربيعة ، جـ ٣ ص ١٤ ، وهو في الطبري « عبد الله » ، جـ ٢ ص ٥٠٠ .

(٣) الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، السيرة النبـويـة والآثـار المحمـديـة ، جـ ٢ ص ٢٢ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٢٩ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٢ .

(٤) وَتَرَهُ حقَّه يَتِره وِتْراً : نَقَصَه . « مختار الصحاح ، ص ٧٠٧ » .

حربه ، فعلّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا .

قال أصحاب التجارة : ونحن طيبو النفوس أن تجهزوا لذلك بربح المال . فَسُلّم لهم رؤوس أموالهم ، وكانت خمسين ألف دينار ، وأخرجوا أرباحها ـ وكان الربح لكل دينار ديناراً ـ فأُخرج لتجهيز الجيش خمسون ألف دينار[1] . وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ كَفَروا يُنْفِقُونَ أَموالَهُم لِيَصدُّوا عن سَبيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثم تكونُ عليهم حَسْرَةً ، ثم يُغْلَبون ، والذين كفروا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون ﴾[2] .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحابيشها[3] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجمحي قد مَنَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن عليَّ صلى الله عليك وسلم ؛

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٢٩ ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٤ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٣٦ .

(٣) الأحابيش : الجماعة أياً كانوا ، أو هم أحابيش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً . « الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٠ ، هامش الصفحة » .

فمنَّ عليه رسول الله ﷺ . فقال له صفوان بن أُميـة : يـاأبـا عزّة إنـك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد مَنَّ عليَّ فلاأُريد أن أُظاهر عليه ، قال : بلى ، فأعنا بنفسك ، فلـك الله عليَّ إن رجعت أن أُغنيك ، وإن أُصبت أن أجعل بناتـك مع بنـاتي ، يصيبهن ماأصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزّة في تِهَامة ، ويدعو بني كنانة ويقول :

إيهـا بني عبـد منـاة الرزَّام[1]   أنتم حمـاة وأبـوكم حـام

لاتعـدوني نصركم بعـد العـام   لاتسلمـوني لايحـل إسـلام[2]

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حـذافـة الجمحي إلى بني مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، فقال :

يـامـال[3] ، مـال الحسب المقـدم   أنشـد ذا القربى وذا التـذمم

من كان ذا رُحم ومن لم يرحم   الحلف وسـط البلـد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم[4]

---

(١) الرزام : من يثبتون في مكانهم لايبرحونه ، أي أنهم ثـابتون في الحرب ، وفي البـدايـة والنهـايـة ، جـ ٤ ص ١٠ « أيا بني عبد مناة » .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ١٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٠ .

(٣) يامال : أراد يامالك فرخّمه ، وذو التذمم : الذي له ذمام ، والذمام العهد .

(٤) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١١ .

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلّما يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق . لأن حمزة هو قاتل طعيمة في بدر ، « وقيل : إن وحشياً كان غلاماً لطعيمة وإن ابنة سيده طعيمة قالت : إن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فإني لأدري في القوم كفؤاً له غيرهم فأنت عتيق »[1] .

وفي بدر قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ترثيهم ، وبلغها تسويم[2] الخنساء هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سوَّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أُصيبت هند بما أُصيبت به ، وبلغها ذلك قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ[3] . فقالت : أقرنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٢٩ . الاكتفاء ، جـ ٢ ص ١٠٠ .

(٢) الخيل المُسَوَّمة : الخيل المُعَلَّمة . « مختار الصحاح ، ص ٣٢٢ » .

(٣) عُكَاظُ : اسم سوق للعرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة ، فيقيمون شهراً يتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون .

ياأُخيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فيمَ تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : بأبي عمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو . وبِمَ تعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة وأخي الوليد ، قالت الخنساء : أو سواءهم عندك ، ثم أنشدت تقول :

أبكي أبي عَمْراً بعين غزيرة ... قليل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي لاأنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها
وصخراً ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بسلهبه الأبطال قبا يقودها[1]
فذلك ياهند الرزية[2] فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها :

أبكي عميد الأبطحين كليهما[3] ... وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها[4]

وخرجت قريش بكل طاقاتها ، ومعها أحابيشها ومن تابعها من

---

(١) السلهب : الطويل من الرجال ، « لسان العرب ، جـ ١ ص ٤٧٤ » .
(٢) الرَّزِيَّة : المصيبة ، « مختار الصحاح ، ص ٢٤٠ » .
(٣) الأبطح والبطحاء : الرمل المنبسط على وجه الأرض ، أو كل مسيل فيه دُقاقُ الحصى فهو أبطح ، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، « معجم البلدان ، جـ ١ ص ٧٤ » .
(٤) أعلام النساء ، جـ ٥ ص ٢٤٣ .

أحد (٢)

بني كنانـة وأهل تِهَامـة ، وخرجت معهم النسـاء التماس الحفيظـة ، وألا يفرّوا ، فخرج أبـو سفيـان بن حرب ـ وهـو قـائـد النـاس ـ بهنـد بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأُم حكيم بنت الحارث بن هشـام بن المغيرة ، وخرج الحـارث بن هشـام بن المغيرة بفـاطمـة بنت الوليـد بن المغيرة ، وخرج صفـوان بن أُميـة ببَرْزَة بنت مسعـود بن عمر بن عمير الثقفية وهي أُم عبد الله بن صفوان بن أُميـة . وخرج عمرو بن العـاص برَيْطـة بنت منبـه بن الحجـاج وهي أُم عبـد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافـة بنت سعـد بن شهيـد الأنصـاريـة ، وهي أُم بني طلحـة : مُسَافع والجُلاس وكلاب ، قتلوا يومئذ هم وأبوهم . وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير ، وهي أُم مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة[1] .

وكانت هنـد بنت عتبـة كلمـا مرَّت بـوحشي أو مر بهـا قـالت : « وَيْها[2] أبا دَسْمَة ، أشفِ واستشف » .

---

(١) ابن هشـام ، جـ ٢ ص ١٦ ، السيرة النبـويـة والآثـار المحمـديـة ، جـ ٢ ص ٢٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠١ .

(٢) في الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٢ « إيـه » ، وهي كلمة تقـال للتحضيض . وكان وحشي يكنى بـأبي دَسْمَـة . الاكتفـاء ، جـ ٢ ص ١٠٠ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٢ ، والروض الأُنف ، جـ ٢ ص ١٤٨ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٣ .

وأقبلت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، مع الأحابيش ، وفيهم مائتا فرس[1] ، وثلاثة آلاف بعير ، وسبعمائة دارع ، حتى نزلوا بعَيْنين ، بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي ، مقابل المدينة ، عند أُحُد .

☆ ☆ ☆

أُحُـد

سمي بهذا الاسم لتوحُّده وانقطاعه عن جبال أُخر هنالك ، وقال فيه الرسول ﷺ : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، إذا مررتم به فكلوا من شجره ، ولو من عضاهه[2] » ، أي نحب أهله ، وهم الأنصار في رأي ، وفي رأي آخر أنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل المحب ، وقيل : بل نحبه حقيقة ، وُضِعَ الحبُّ فيه كما وضع التسبيح في الجبال المسبِّحة مع داود ، وكما وضعت الخشية في الحجارة ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ من خَشْيَةِ اللهِ ﴾[3] .

---

(١) في البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٣ مع قريش مائة فرس . والثابت مائتا فرس كما في المراجع الأُخرى .

(٢) العضاه : كل شجرة كبيرة عظيمة لها شوك ، والقصد الحث على عدم إهمال الأكل من شجره تبرُّكاً به .

(٣) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٧٢ .

وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ، ولأحسن من اسم مشتــق من الأَحَدِيَّة ، وقد سُمِّي الجبل بهذا الاسم ، تقدمة ـ لما أراده سبحانـه ـ من مشاكلة اسمه ومعناه ، إذ أهله وهم الأنصـار نصروا التوحيـد ، والمبعوث بدين التوحيد ، عنده استقر حياً وميتاً ، وكان من عادتـه عليـه الصلاة والسلام أن يستعمل الوتر ويحبُّه في شأنه كله استشعاراً للأحدية ، فقـد وافق اسم هذا الجبل أغراضه عليه السلام ومقاصده في الأسماء ، فقد بدَّل كثيراً من الأسماء استقباحاً لهـا من أسماء البقـاع وأسماء النـاس ، وذلـك لايحصى كثرة ، فـاسم هـذا الجبل من أوفق الأسماء لـه ، لأنـه مشتق من الأحديَّة[1] .

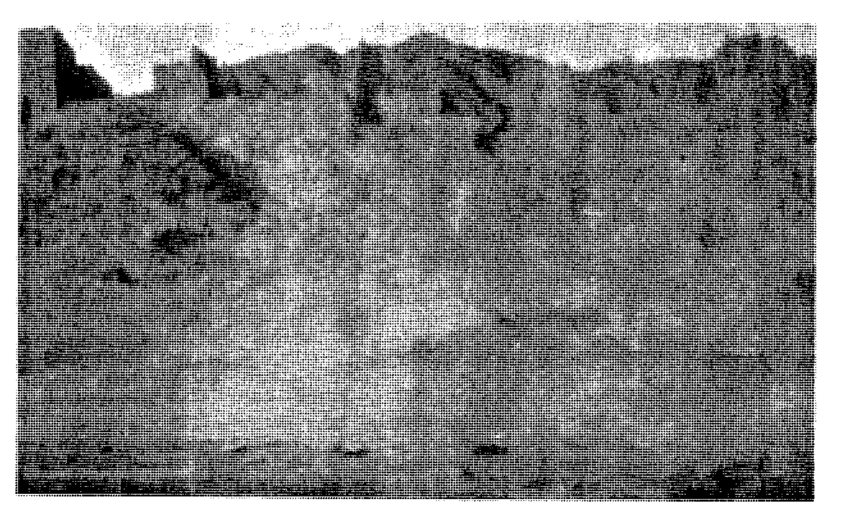
وأُحد على بعد ميل أو ثلاثة أميال من المدينة[2] .

☆ ☆ ☆

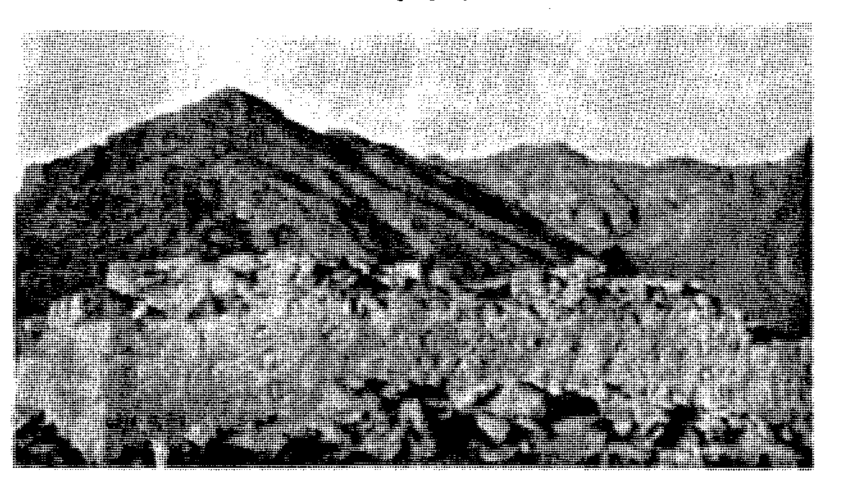
---

(١) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٥٨ و ١٥٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٨٨ .



جبـــل الرماة



صورة توضح مكان انسحاب المسلمين بعد مخالفة الرماة

حيث التفوا حول رسول الله ﷺ يفدونه بحياتهم

الموقف في المدينة المنورة

☆ ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٤٦]

بلغ رسول الله ﷺ أمر قريش ونزولها قرب أُحُد ، وذلك من رسالة أرسلها العباس[١] مع رجل استأجره من بني غفار ، وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ، ففعل كذلك . فلما جاءه ﷺ الكتاب فكّ ختمه ، ودفعه لأُبي بن كعب فقرأه عليه ، واستكتم النبي ﷺ أُبيّاً ، ونزل على سعد بن الربيع[٢] فأخبره بكتاب العباس واستكتمه أيضاً ، فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ، قالت له امرأته : ماقال لك رسول الله ﷺ ؟ .

فقال سعد بن الربيع : لاأمّ لك ، وماأنت وذاك ؟!

فقالت : قد سمعت ماقال ، وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ ،

---

(١) العباس عم النبي ﷺ مسلم يكتم ويخفي إسلامه في مكة ، فكان عيناً على المشركين ، يبعث بأخبارهم من مكة للنبي ﷺ ، ولولا رسالة العباس لأطبق المشركون على المدينة في غفلة من أهلها .

(٢) سعد بن الربيع ، شهد العقبة الأولى والثانية ، كان نقيب بني الحارث بن الخزرج ، هو وعبد الله بن رواحة ، استشهد يوم أحد ، « أسد الغابة ، جـ ٢ ص ٣٤٨ » .

فاسترجع ، وأخذ بيدها ولحق برسول الله ﷺ فأخبره خبرها ، وقال : يارسول الله إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني إياه . فقال له ﷺ : خَلِّ عنها[1] . وهنا تتجلى أمانة سعد لسرّ رسول الله ﷺ ، وحرصه على ألاّ تتغيَّر ثقة رسول الله ﷺ به ونظرته إليه ، إذا ذاع الخبر .

وقال رسول الله ﷺ لكبار الصحابة : « إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً لي تذبح ، ورأيت في ذباب[2] سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، وأني مردف كبشاً »[3] .

وقال ﷺ : « فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقْتَلُون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي ، فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأما الكبش فإني أَقْتُلُ كبش القوم[4] . وأَوَّل ﷺ الدرع الحصينة بالمدينة المنوَّرة » .

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) ذباب السيف : حدُّ طرفه الذي بين شفرتيه ، « لسان العرب ، جـ ١ ص ٣٨٣ » .

(٣) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٠ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ١٦ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢١ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٣ .

(٤) وفي رواية : « وأوّلت الكبش بأني أقتل صاحب الكتيبة » ، وقد صدق الله رؤياه ، فكان الرجل الذي هو من أهل بيته حمزة سيد الشهداء ، وقُتِل طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين ، فهو صاحب الكتيبة ، وكبش القوم : سيّدهم . « السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٥ » .

ثم قال ﷺ : « فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » .

وكان رأي عبد الله بن أُبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى رأيه في ذلك ، وألاّ يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدراً : يارسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لايرون أنا جبنّا عنهم وضعفنا ، فيكون ذلك جراءة منهم علينا ، والله لانطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا ، وفي لفظ ، قالت الأنصار : يارسول الله ماغلبنا عدو لنا أتانا في دارنا - أي في ناحية من نواحيها - فكيف وأنت فينا ؟! ووافقهم على ذلك حمزة رضي الله عنه[1] . فقال عبد الله بن أُبي بن سلول[2] : يارسول الله ، أَقم بالمدينة لاتخرج إليهم ، فوالله ماخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلاّ أصاب منا ، ولادخلها علينا إلاّ أصبنا منه . فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ،

---

(١) ومما قاله حمزة : « والذي أنزل عليك الكتاب لاأطعم طعاماً حتى أُجالدهم بسيفي خارج المدينة » ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣١ .

(٢) دعاه رسول الله ﷺ - ولم يدعه قط قبلها - فاستشاره . وفي الطبري (٢ / ٥٠٣) قال ابن أُبي بن سلول : اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلُب ، وهذا لايناسب ماسيأتي عند رجوعه ، وقوله : خالفني ، أطاعهم وعصاني .

ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا .

وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقّة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاري ، فقال : يارسول الله لاتحرمني الجنة ، فوالذي بعثك بالحق لأدخلنّ الجنّة ، فقال له : بِمَ ؟ قال : بأني أشهدُ أن لاإلـه إلا الله وأنّك رسول الله ، وأني لاأفِرُّ من الزحف ، قال ﷺ : صدقت ، فقتل يومئذ[1] .

ولم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل ﷺ بيته ، فلبس لأمَتَه[2] ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم أن لهم النصرة ماصبروا ، وأمرهم بالتهيُّؤ لعدوهم ، ففرح الناس في بادئ الأمر ، ولكن سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير قالا : استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج ، ولم يكن لنا ذلك ، فردّوا الأمر إليه ، ويلاحظ أن عامة مَنْ أشار عليه ﷺ بالخروج ، رجال لم يشهدوا بدراً ، وقد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضل والخير والمكانة . فقالوا : يارسول الله ، استكرهناك ولم يكنْ ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٣ .

(٢) لأُمَته : درعه ، وقد يسمى السلاح كله لأمة .

الله عليك[1] . فقال رسول الله ﷺ : « ماينبغي لنبي إذا لبس لأُمَتَه أن يضعها حتى يقاتل » ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه ، واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم على الصلاة بالناس ، منهم مائة دارع ، مع فرس لرسول الله ﷺ اسمه « السكب » ، وفرس لأَبي بردة . وعقد ﷺ لواء الأَوس وجعله بيد أُسيد بن حضير ، ولواء للخزرج وجعله بيد الحُباب بن المنذر « أو سعد بن عبادة » ، ولواء للمهاجرين جعله مع علي بن أبي طالب ، ثم دفعه إلى مصعب بن عمير[2] كما سنرى .



انخذال المنافقين

وفي منتصف المسافة بين المدينة وأُحد ، انخذل عن النبي ﷺ عبدُ الله بن أُبي بن سلول بثلث الجيش ، وجعل تبريراً لخيانته فقال :

---

(١) جاء في السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٥ : « قالوا : يارسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : ماينبغي لنبيّ إذا أخذ لأُمة الحرب ، وأذّن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا » .

(٢) جاء في تاريخ خليفة بن خياط العصفري ، جـ ١ ص ٢٩ : الراية مرط أسود من مراجل كان لعائشة ، وراية الأنصار يقال لها العُقاب . ولحملة الرايات ، راجع السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٢ . وقال ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٤ : « وكان مع المسلمين خمسون فارساً » ؟!! ولم يورد ذلك غيره ، وهذا خطأ .

أطاعهم وعصاني ، ماندري عَلاَمَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها النـاس ، فرجع بمن اتبعـه من قـومـه من أهـل النفـاق والريـب ، واتبعهم عبــد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمـة ، وهـو في الخـزرج كعبـد الله بن أُبي بن سلول ، يقول : ياقوم ، أُذكركم اللهَ ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندمـا حضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لانرى أنـه يكون قتـال ، ولمـا استعصوا عليـه ، وأبـوا إلا الانصراف عنهم ، قـال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيَّه[1] .

لقد كان رأي عبد الله بن أُبي بن سلول أن لايخرج ، فظاهر القول سليم ، ولكن باطنه : لايريد القتـال ، بـدليل تراجعـه بثلث الجيش ، وهذا الانسحاب قبيل المعركة ، يضعف معنويات المقاتلين .

وموقف عبـد الله بن أُبي بن سلول يتضـح سببـه الحقيقي في قـول سعد : ارفق به يارسول الله ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم لـه الخرز لنتوِّجه .

وقال الأنصار يوم أُحد لرسول الله ﷺ : يـارسول الله ألا نستعين بحلفائنا من اليهود ؟ فقال : لاحـاجـة لنـا فيهم ، وهـذا أمر طبيعي ، فشعورهم كما مرّ معنا بعد غزوة بدر الكبرى كان مع قريش .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٩ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٤ ، والسيرة النبوية ، جـ ٢ ص ١٧ ، والكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٣ .

ومضى ﷺ حتى سلك في حرّة[1] بني حارثة ، فذب فرسه بذنبه ، فأصاب كُلاّب سيف[2] فاستله ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف[3] لصاحب السيف : شم سيفك[4] ، فإني أرى السيوف ستسل اليوم[5] .

☆ ☆ ☆

مربعٌ المنافق

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب[6] ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسولَ الله . فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك في مال لمربع بن قيظي الحارثي ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله

---

(١) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة ، وأكثر هذه الحَرَّات توجد حول المدينة المنوَّرة ، وتسمَّى مضافةً إلى أماكنها .

(٢) كُلاَّب السيف : هي الحديدة العقفاء ، وهي التي تلي الغمد ، وقيل : مسمار في قائم السيف ، « الروض الأُنُف » .

(٣) اعتاف : تَطَيَّر .

(٤) شم سيفك : اغمده .

(٥) الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ١٨ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٨ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٤ .

(٦) أي من قرب .

فإني لا أُحلّ لك أن تدخل حائطي[1] ، وأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أُصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر[2] . وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ عنه ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه .

وغضب له ناس من بني حارثة ، كانوا على مثل رأيه ، أي منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أُبي بن سلول ، فهمَّ بهم أُسيد بن حضير حتى أومأ إليه رسول الله ﷺ بترك ذلك .

وهنا نقول :

إن قاعدة فقهية تقول : درء المفاسد أَوْلى من جلب المنافع .

إذا وُجِدَ ضرر عام سيحل في الأُمة كلها ، وهو هنا خطر العدو المهاجم للمدينة المنوّرة ، فإن فوات بعض المصلحة من فرد واحد ، أو أكثر ، يقدَّم عليها الصالح العام على الصالح الخاص .

---

(١) الحائط : واحد الحيطان وحوّط كَرْمه تحويطاً : بنى حوله حائطاً فهو كَرْم مُحَوَّط . مختار الصحاح ، ص ١٦٢ ، والمراد هنا : بستانه أو كَرْمه .

(٢) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠١ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٦ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٤ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ١٧ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٨ .

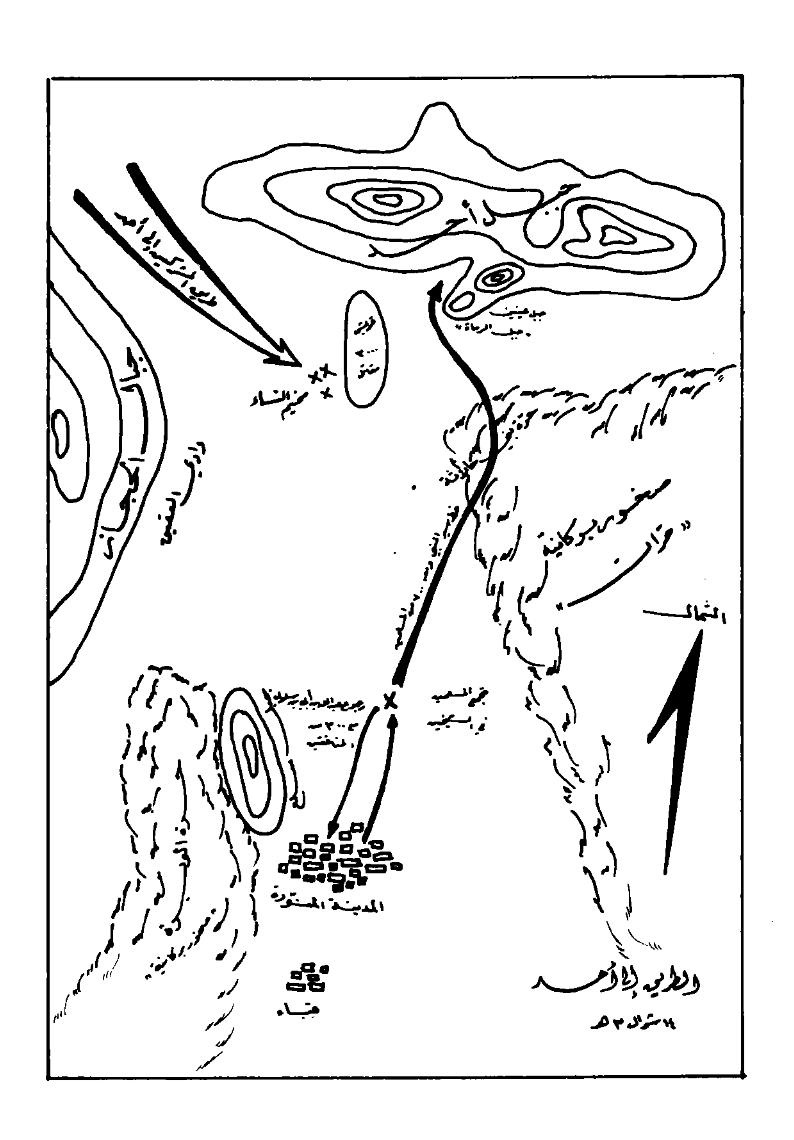
لقد حقَّق ﷺ بعبوره السريع باتجاه أُحُد عبر حائط مربع المنافق أهدافاً هامة :

أ ـ لم تر قريش عدد قواته ، فلو مرّ بهم عن قرب ، لعرفوا إمكانات المسلمين ، وكشفوا قلة عددهم .. وبصورة عامة ، لعرفت قريش ما لا يجب أن يعرفوا .

ب ـ حقَّق رسول الله ﷺ الوصول من أقرب طريق ، فوصل المسلمون إلى أُحُد في غاية السرعة ، مع تمام الراحة الجسمية أيضاً .

ج ـ وكَسْبُ الزمن شيء هام عظيم في الحروب ، لقد وصل ﷺ ليضع خطته الحربية حسب طبيعة الأرض ، مع أخذ المكان المناسب التحصين ، والذي يتلاءم مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم .

والنبي ﷺ لما مرَّ ومن معه في أرض مربع بن قيظي المنافق ، لم يخرِّبوا شيئاً ، ولم يخسر ابن قيظي من أرضه أو ثمره شيئاً ، مما يدل على نفاقه وحبه تأخير المسلمين ، وسلوكهم طريقاً طويلاً ، مما يضيع على المسلمين الفرصة والزمن ، فيتحقَّق ما يريده المنافقون ، انهزام المسلمين وانكسارهم ، وسيظهرون شماتتهم ـ في المدينة وما حولها ـ بعد أُحد .


جبل أحد
جبال الحجاز
وادي العقيق
مخيم النساء
صخور بركانية "حرة"
الشمال
تجمع المسلمين
في الشيخين
المدينة المنورة
قباء
الطريق إلى أحد
١٤ شوال ٣ هـ

المسلمون بأحد

☆ « إنّا لن نزال غالبين ما ثبتم
مكانكم ، اللهم إني أُشهدك عليهم » .
« محمد رسول الله » .

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِّعْبَ من أُحُد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد ، واستقبل المدينة ، وأجاز ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقيل : يا رسول الله ، إنَّ رافعاً رامٍ فأجازه ، فلما أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً ، فأجازه .

ورد ﷺ أُسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأُسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس بن قيظي ، وهو الذي يقول فيه الشماخ :

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رُفعت لمجد ... تلقّاها عرابة باليمين[1]

ومن المستصغرين يوم أُحد سعد بن حبتة[2] ، ردّه رسول الله ﷺ

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٥ .
(٢) سعد بن حبته عُرف بأمه ، وهي حبته بنت مالك الأنصارية ، وهو : سعد بن بجير .

لصغر سِنّه ، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالاً شديداً ، فدعاه ومسح على رأسه ، ودعا له بالبركة في ولده ونسله : فكان عمّاً لأربعين ، وخالاً لأربعين ، وأباً لعشرين ، ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، وقاضي قضاة هارون الرشيد .

فما فرغ ﷺ من استعراض جنده ، إلا وقد غابت الشمس ، فأذّن بلال بالمغرب ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم أذّن بالعشاء فصلى بهم ، وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر ، ونام رسول الله ﷺ وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه .

وفي صباح السبت ١٥ من شوال سنة ٣ للهجرة ، أذّن بلال للصبح ، وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صفوفاً ، وخطب خطبة حثّهم فيها على الجهاد ، وقال : لا يقاتلن أحَدٌ منكم حتى نأمره بالقتال ، وسَرَّحت قريش الظهر والكراع[١] في زروع كانت بالصَّمْغة[٢] من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروع بني قيلة[٣] ولما نضارب ؟! وهذا يحدث في

---

(١) الظهر : الإبل ، والكراع : الخيل .

(٢) الصَّمغة : مكان قرب أحد .

(٣) قيلة : أم الأوس والخزرج ، وينسبون إليها .

بعض المواقف بين القائد وجنده ، منهم من ينطق به ، ومنهم من يبقيه يجول في خاطره ، ويثبت الزمن والمستقبل ، بعد نظر القائد ، ونظرته الشاملة ، وقصر نظر الجندي الذي لم يطّلع على أبعاد خطة القائد وعلى كل جوانبها وأهدافها ، فنظرة القائد أعمق وأشمل وأعمّ ، وبخاصة هنا وأنه رسول الله !! وأنه ﷺ لم يعبّئ جنده حسب طبيعة الموقع ، ولم يتواجد الجند على ميدان المعركة حسب الخطة التي أعدها ، فكيف يقاتل والحالة هذه ، ولو رعت الأنعام الزروع ؟!!

وتعبّى رسول الله ﷺ للقتال ، وهو في سبعمائة رجل على التشكيل التالي :

- على الميمنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

- وعلى الميسرة المقداد بن عمرو الساعدي رضي الله عنه .

- وعلى القلب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

- وجعل الزبير بن العوام على رجال قبالة خالد بن الوليد ، وقال له : « كن بإزائه » .

- وعلى الرُّماة عبد الله بن جبير أخو بني عمرو بن عوف وهو مُعَلَّم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً[1] ، وقال ﷺ :

---

(١) الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٩ ، البداية =

انضح[1] الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نُؤتين من قِبَلِك ، الزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقْتَل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا ، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنّا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، اللهم إني أُشهدك عليهم ، احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا ، إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أُرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هَزَمْنا القوم وأوطأناهم[2] فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم ، إن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، اللهم إني أُشهدك عليهم[3] .



والنهاية ، جـ ٤ ص ١٤ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ١٨ . وتمركز الرماة في جبل عينين ، المسمّى بجبل الرماة اليوم ، ويقع جنوب غرب معسكر المسلمين ، على ضفة الوادي الجنوبية ، على بعد مائة وخمسين متراً عن مقر القيادة .

(١) انضح : ادفع .

(٢) أوطأناهم : مشينا عليهم وهم قتلى .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط العصفري ، جـ ١ ص ٢٩ ، والكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٩ ، والبداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٤ ، وابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨ ، والسيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٥ ، والسيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٥ .

وتعبّـأت قريش بقيـادة أبي سفيـان وهم ثـلاثـة آلاف رجـل ، وسبعمائة درع ، ومئتـا فرس قـد جنبوهـا[1] ، وجعلوا على ميمنـة الخيل خالـد بن الوليـد ، وعلى ميسرتهـا عكرمـة بن أبي جهل ، وعلى المشـاة صفوان بن أُمية ، أو عمرو بن العاص .

ومن الملاحـظ قبيل معركـة أُحُـد ، أن رسول الله ﷺ قبيل بـدر أكَّد النصر ، وقرَّر النتيجة قبل وقوعها :

١ - « سيروا على بركـة الله وأبشروا فـإنَّ الله قـد وعـدني إحـدى الطائفتين »[2] ، والقافلة وصلت مكة ، فلم يبقَ إلا النصر في المعركة .

٢ - « والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصـارع القـوم ، هـذا مصرع فلان »[3] ، يضع يده على الأرض ههنا ، وههنا ، فما أنـاط أحـدهم عن موضع يده الشريفة ﷺ .

٣ - ولما أشار سعد بن معـاذ رضي الله عنـه ببنـاء العريش ، وأعـدَّ الركائب ليعود الرسول ﷺ إلى المـدينـة المنورة ، إن لم يتحقَّق النصر ، قال رسول الله : « أو يقضي الله لـك خيراً من ذلـك يـا سعـد »[4] ، أي النصر والظهور على قريش .

---

(١) أي جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٨ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٤٢٤ ، والبداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٢ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤١ .

(٤) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ١ ص ٤٣٤ .

٤ً ـ وفي العريش ، قـال رسـول الله ﷺ : « اللهم فنصرك الـذي وعدتني » ، حتى أنه ﷺ طلب من الله بعض رؤوس الكفر بـأسمائهم : « اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأُمة ، وزمعة بن الأَسود .. » .

بينما كان رسول الله ﷺ قبل أُحد يحذّر :

١ً ـ رؤيا رسول الله ﷺ في المدينة :

أ ـ رأيت بقراً لي يذبَّح ، فهي ناس من أصحابي يقتلون .

ب ـ رأيت في ذباب سيفي ثلماً ، فهو رجل من أهل بيتي يُقْتَل .

جـ ـ ورأيت أني أدخلت يـدي في درع حصينـة ، فـأوَّلتهـا المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ...

٢ً ـ وفي الطريق إلى أُحد : « شم سيفك فـإني أرى السيوف ستسل اليوم » .

٣ً ـ وحذّر ﷺ أمير الرماة ومن معه ، من أَمر كأنه يراه :

أ ـ « لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانـك لا نؤتين من قِبَلِك » .

ب ـ « لا تبرحوا .. فإذا رأيتمونـا نهزمهم حتى نـدخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونـا نُقْتَل فلا تغيثونـا ولا تـدفعوا عنا » .

جـ ـ « إنا لن نزال غـالبين مـا مكثتم ـ أو مـا ثبتم ـ مكانكم .. إن رأيتمـونـا تخطفنـا الطير فـلا تبرحـوا من مكانكم هـذا حتى أُرسـل إليكم .. إن رأيتمونـا نُقْتَل فلا تنصرونـا ، وإن رأيتمونـا قـد غنمنـا فلا تشركونا ، اللهم إني أُشهدك عليهم » .

فقبل أُحد ، كان النبي ﷺ يحذّر من أمر كأنه يلوح بين ناظريه ، يحذّر من المخالفة ، وسنرى عاقبتها !!

سؤال يعرض لنا قبل البدء بأحداث أُحد :

لماذا لم يختر أبو سفيان ، وبالتالي قريش ، الموقع الاستراتيجي من أرض المعركة ، على الرغم من وصولهم إلى موقع أُحدٍ قبل المسلمين ؟!

إجابة من الإجابات الخمس التالية كافية جواباً لهـذا السؤال ، وقـد تكون مجتمعة الجواب الكامل :

١ً ـ ضيق الأُفق العسكري عند أبي سفيـان وقريش ، فـالعرب في الجـاهليـة ، لم يخوضـوا معـارك كبيرة منظّمـة ، فيهـا خطـط حربيـة مدروسة .

٢ً ـ ولعل قريشاً ما أرادت حصر نفسهـا في مسـاحـة قليلـة صغيرة ضيِّقة ، وهم ثلاثة آلاف مع خيلهم وإبلهم ونسائهم .

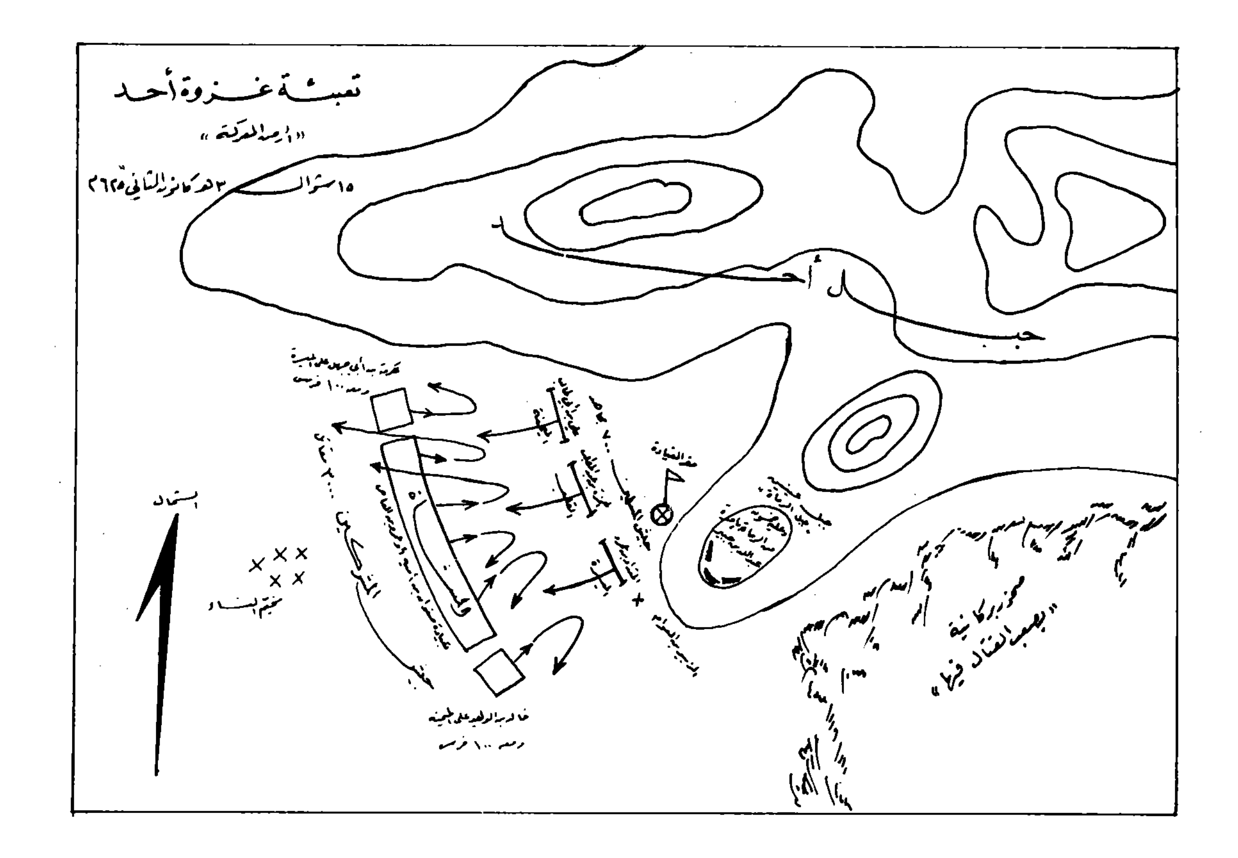
٣ً ـ ولعل القرشيين لم يقدّروا سير الأحداث القادمة ، ولا أين من

الممكن أن يتمركز رسول الله ﷺ ، وما ظنوا أنه لن يمرَّ عليهم ليتجاوزهم إلى شِعْبٍ معين ، فيجعل ظهره إلى الجبل ، ووجهه قُبَالة المدينة المنورة .

٤ً ـ ولعلهم فكَّروا بالفرار عند الحاجة ، بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة المنكرة ببدر ، فهم في منبسط من الأرض متصل بطريق القوافل العام الموصل إلى مكة .

٥ً ـ لقد فرض رسول الله ﷺ موقع المعركة وميدانها على القرشيين ، فاختار المكان الأنسب الذي يلائم قلة عدد جنده ، مما يعطيه الفعالية ، ويشل حركة جيش المشركين ، وبخاصة فرسانهم ، وتمَّ له ﷺ ذلك كما أراده .

☆ ☆ ☆



تعبئة غزوة أحد
«أرض المعركة»
١٥ شوال ٣هـ كانون الثاني ٦٢٥م
جبل أحد
الشمال
مقر القيادة
خالد بن الوليد على الميمنة
ومعه ١٠٠ فرس
صخور بركانية
«يصعب القتال فيها»

غزوة أُحد

السبت ١٥ من شوال ٣هـ

☆ ﴿ ولقد صَدَقكُمُ اللهُ وعدَهُ إذ تَحُسُّونَهُم بإذنِهِ حتى إذا فَشِلْتُم وتنازعتُم في الأَمرِ وَعَصَيتُم مِنْ بعدِ ماأَراكُم ماتُحِبُّون ، منكم مَنْ يُريدُ الدنيا ومنكم مَنْ يُريدُ الآخرةَ ، ثُمَّ صَرَفَكُم عنهم لِيَبْتَلِيكُم ، ولقد عَفَا عنكم ، واللهُ ذُو فَضْلٍ على المؤمنين ﴾ .

[آل عمران : ١٥٢]

أَبو دجَانة سِماك بن خَرَشة :

أخرج رسول الله ﷺ سيفاً ، جاء في السيرة الحلبية[١] ، « وكان مكتوباً في إحدى صفحتيه :

في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة   والمرء بالجبن لاينجو من القدر »

وقال ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، ومن جملتهم علي رضي الله عنه ، قام ليأخذه ، فقال : اجلس ، وعمر رضي الله عنه ، فأعرض عنه ، والزبير رضي الله عنه

---

(١) جـ ٢ ص ٢٣٥ .

طلبه ثلاث مرات ، ورسول الله ﷺ يعرض عنه ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة ، فقال : وماحقّه يارسول الله ؟

قال ﷺ : أن تضرب به العدو حتى ينحني .

فقال أبو دجانة : أنا آخذه يارسول الله بحقّه ، فأعطاه إياهُ .

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال[1] عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أراد القتال ، يُخْرج عصابة حمراء ، يُعَلِّم بها عند الحرب يعتصب بها ، فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصَّفين ، فقال ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : إنها لَمِشْية يَبْغضها الله إلا في مثل هذا الموطن[2] .

☆ ☆ ☆

أبو عامر الفاسق :

عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، من الأوس ، وكان عبد الله بن أُبي بن سلول من الخزرج ، وهما من رؤوس أهل المدينة ،

(١) أي يمشي مشية المتكبّر .

(٢) لأن فيها عدم الاكتراث بالعدو . الطبري ، جـ ٢ ص ٥١١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٠ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٥ . وإعطاء السيف لأبي دجانة لايعني أنه أفضل من علي وعمر والزبير ، ولكنها خصوصية لأبي دجانة ، لإظهار شأن الأنصار وفضلهم ، وحب رسول الله ﷺ لهم ، وهم أهل لهذا الحب ، ولتقدير رسول الله .

وعظمائها المتوجهين للرياسة على أهلها ، فعبد الله بن أُبي أظهر الإسلام نفاقاً ، وأما أبو عامر فأصرَّ على الكفر ، إلى أن مات طريداً وحيداً في بلاد الشام .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خرج أبو عامر إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وفي رواية : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق ، وكان أبو عامر يُسمى في الجاهلية الراهب ، فسمَّاه رسول الله ﷺ : الفاسق . فلما سمع ردَّهم عليه قال : أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم[1] بالحجارة[2] .

لقد كان أبو عامر من الرهبان ، وعلى هؤلاء وعلى الأحبار أخذ الله الميثاق على لسان أنبيائهم بأنَّه إذا ظهر النبي العربي أن يؤمنوا به ، وأن يدعوا الناس إلى الإيمان به ، وكانوا قبل ظهوره يبشِّرون به ،

---

(١) راضخهم : راماهم .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٢ ، الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٥١ .

ويذكرون أَوصافه ، والبركات والخيرات وانتشار الإيمان ، وإبادة الأَصنام عند ظهوره . فلما ظهر وبُعِث وأُرْسِلَ ، كانوا أَوَّل الأَعداء له ، ونبذوا ميثاق الله الذي أخذه عليهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونظروا بعين المصلحة الدنيوية ، فَخُيِّل إليهم أنهم إذا اعترفوا بنبوَّته سيحرمون المنافع المادية التي كانوا يأخذونها من أتباعهم ، ورأوا أنهم سيخسرون زعامتهم ، فآثروا المنفعة الدنيوية العاجلة على ميثاق الله الذي أخذه على أنبيائهم وعليهم ، وآثروا دنياهم على آخرتهم[1] ، والعاجل على الآجل ، ﴿ وَإذ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولاتكتُمُونَهُ فَنبذُوهُ وراءَ ظُهُورِهِم واشتَرَوا به ثَمَناً قليلاً ، فبئسَ مايشترون ﴾[2] .

كتموا الحق ، وأخفوا الحقيقة .. وكان مايجب أن يفعلوه الوفاء بالميثاق ، وأن يبشِّروا بالنبي المنتظر ، ويؤمنوا به ، فلم يفعلوا ذلك ، وأَحبوا أن يحمدوا وعملوا عكس مايجب أن يفعلوا : ﴿ لاتحسَبَنَّ الذينَ يفرحونَ بما أَتَوا ويحبُّونَ أَن يُحمَدُوا بما لم يَفْعَلُوا ، فلا تحسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ ولَهُم عَذَابٌ أَليم ﴾[3] .

---

(١) مع أن دنياهم لن تضيع ، وسينعمون بعز الإيمان ، ورفاه الإسلام .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٨ .

أبو سفيان وامرأته يحرضان قريشاً :

قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرِّضهم بذلك على القتال : يابني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ماقد رأيتم ، وإنّما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهمُّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا !؟! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ، وهذا ماأراده أبو سفيان .

ونادى أبو سفيان : يامعشر الأوس والخزرج ، خلُّوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم ، فجاء الجواب حاسماً قاسياً ، لأن أبا سفيان فاته أن رابطة العقيدة وحّدت بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار ، وفرَّقت بين رسول الله ﷺ وبين أبناء عمه الوثنيين ، لذلك شتمه الأنصار أقبح شتم ، ولعنوه أشد اللَّعن[1] .

وخرج رجل من المشركين على بعير له ، فدعا للبراز ، فأحجم عنه الناس ، حتىَ دعا ثلاثاً ، فقام إليه الزبير بن العوام ، فوثب حتى استوى معه على البعير ، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير ، فقال رسول الله ﷺ : الذي يلي حضيض الأرض مقتول ، فوقع المشرك ، فوقع عليه

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٢٥ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٢ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٣ .

الـزبير فـذبحــه ، فــأثنى عليــه رسـول الله ﷺ ، وقــال : « لكل نبي حـواري[1] ، وإن حـواريَّ الـزبير » ، وقـال ﷺ : « لـو لم يبرز إليــه الزبير لبرزت إليه » ؛ لما رأى من إحجام الناس عنه[2] .

وخرج طلحة بن أبي طلحة[3] ، وطلب المبـارزة مراراً ، فلم يخرج إليه أحد ، فقـال : يـاأصحـاب محمـد ، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنـة ، وأن قتلانا إلى النار ، يـاأصحـاب محمـد ، إنكم تزعمون أن الله تعـالى يعجلنـا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل أحـد منكم يعجلني بسيفــه إلى النــار ؟ أو أُعجلــه بسيفي إلى الجنــة ؟! كـذبتم والـلاَّت والعزّى ، لو تعلمـون ذلـك حقّـاً لخرج إليَّ بعضكم ، فخرج إليـه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علي رضي الله عنه .

وفي روايــة : التقيــا بين الصَّفين ، فبــدره علي فصرعــه وقطــع رجله[4] ، ووقع على الأرض ، وبدت عورته ، فقال طلحة : يابن عمي

---

(١) حواري : أي نـاصر ، راجع كتـاب دول الإسلام ، جـ ١ ص ١٧ ، طبـع دائرة المعـارف ، حيـدر أباد ، سنة ١٣٣٧ هـ ، والكتاب للحافظ شمس الدين أبي عبد الله ، المتوفى سنة ٧٤٦ هـ .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) واسمه أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين ، لأن بني عبـد الـدار كانوا أصحاب لواء المشركين ، لأن اللواء كان لوالدهم عبد الدار كما تقدَّم .

(٤) وفي روايـة : تقـدم علي وهو يقول : أنـا أبو القَصْم ، أي أبو المعضـلات القصم والـدواهي العظم ، وقيل : « أبو الفَصم » ، وفي التنزيل : ﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ ، وفيه : ﴿ لاانفصام لها ﴾ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٣ .

أنشدك الله والرَّحم ، فرجع علي عنه ولم يجهز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟! فقال علي رضي الله عنه : إنَّه استقبلني بعورته ، فعطفني عليه الرَّحم ، وعرفت أن الله قد قتله . وسأله رسول الله ﷺ : مامنعك أن تجهز عليه ؟ فقال : ناشدني الله والرَّحم ، فقال ﷺ : اقتله ، فقتله[1] ، واستبشر رسول الله ﷺ وأصحابه ، لأنه كبش الكتيبة .

ثم أخذ لواء المشركين أخو طلحة ، عثمان بن أبي طلحة[2] ، فحمل عليه حمزة ، فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره ، فرجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقي الحجيج[3] .

فأخذ اللواء أخو عثمان ، وأخو طلحة ، أبو سعيد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقّاص فأصاب حنجرته فقتله ، فحمله مسافع بن

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٦ . وطلحة هو كبش الكتيبة ، أي الجيش ، الذي رآه رسول الله ﷺ في رؤياه المتقدمة .

(٢) وقال يومئذ وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقّاً ... أن يخضبوا الصَّعدة أو تندقا

(٣) ساقي الحجيج : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحارث ، زعيم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم ، مولده في المدينة ومنشؤه بمكة ، كان عاقلاً ، ذا أناة ونجدة ، فصيح اللسان ، حاضر القلب ، أحبَّه قومه ورفعوا من شأنه ، فكانت له السقاية والرفادة . وهو جدّ رسول الله ﷺ ، توفي سنة ٥٧٩ م عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر . « الأعلام ، جـ ٤ ص ٢٩٨ » .

طلحة بن أبي طلحة الـذي قتلـه علي رضي الله عنـه ، فرمـاه عـاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح فقتله . ثم حمل اللواء أخو مسـافع ، وهو الحرث بن طلحة ، فرماه عـاصم فقتلـه . وكانت أمهما وهي سلافـة معهما في جيش المشركين ، وكل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتي أُمَّه ويضع رأسـه في حجرها ، فتقول له : يـابني من أصـابـك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني يقول : خذهـا وأنـا ابن أبي الأَقلح ، فنـذرت إن أمكنهـا الله من رأس عـاصم أن تشرب فيـه الخمر ، وجعلت لمن جـاء برأسـه مـائـة من الإبل[1] .

فحمل لواء المشركين أخو مسـافع وأخو الحـارث ، وهو كلاب بن طلحـة ، فقتلـه الزبير أو قزمـان ، فحملـه أخوهم الجلاس بن طلحـة ، فقتله طلحة بن عبيد الله .

فكل من مسافع والحرث وكلاب والجلاس الأَربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة ، كل قتل كأَبيهم ، وعمّيهم عثمان وأبي سعيد . وعند ذلك حمل

(١) فلما أُصيب عاصم يوم الرَّجيع أرادوا أن يـأخـذوا رأسـه ليبيعوه مِنْ سُلاَفة ، فبعث الله عز وجل عليه مِثل الظُلَّة من النحل والزنابير فحمته ، ولم يقدروا على شيء منـه ، فلـما أعجزهم قـالوا : إن النحل والزنابير ستذهب إذا جاء الليل ، فبعث الله مطراً ، فجـاء سيل فحملـه فلم يوجـد ، وكان قد عاهد الله تعالى أن لايمس مشركاً وَلايَمَسَّه مشرك ، فحماه الله بعـد وفـاتـه . (أُسـد الغـابـة في معرفة الصحابة . جـ ٣ ص ١١١) .

اللواء أرطاة بن شرحبيل ، فقتله علي رضي الله عنه أو الحمزة ، فحمله شريح بن قارظ ، فقتل ولم يعرف قاتله ، ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار ، فقتله قزمان ، فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم ، فقتله قزمان أيضاً ، ثم حمله صؤاب غلامهم وكان حبشياً ، فقاتل حتى قطعت يده ، ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه ، حتى قتل عليه ، قتله قزمان أو علي أو سعد بن أبي وقاص .

وعند قتل أصحاب اللواء صار المشركون كتائب متفرّقة ، فجاس المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أثقالهم ، وكان شعار المسلمين : أَمت ، أَمت ، أي أمتهم ياالله ، وشعار المشركين : يااللعزّى[1] ، ياالهبل[2] .

وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، فكانت تنضح بالنبل ، نبل الرماة الخمسين ، فترجع مغلولة متفرّقة .

ولما التقى الناس ، وحميت الحرب ، قامت هند بنت عتبة ، زوج أبي سفيان بن حرب ، في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما قالت :

---

(١) العزّى : شجرة كانوا يعبدونها .
(٢) هُبَل : صنم كان داخل الكعبة منصوباً على بئر .

وَيْهاً[1] بني عبدِ الدارِ ويهاً حُماةَ الأَدْبارِ
ضَرْباً بكلّ بَتّارِ[2]

وتقول :

نحن بنات طارق[3] نمشي على النمارق[4]
مشي القطا النواتق[5] والمسك في المفارق
والدر في المخانق إن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامِق[6]

الزبير بن العوام وأبو دجانة :

قال الزبير بن العوام : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن

---

(١) ويها : كلمة إغراء وتحريض ، كما تقول : دونك يا فلان . والأدبار : الأعقاب ، أي الذين يحمون أعقاب الناس .

(٢) البتّار : السيف القاطع .

(٣) الطارق : النجم ، والمراد : نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم .

(٤) النمارق : الوسائد الصغيرة ، وكل ما يجلس عليه .

(٥) أي مشية الخفاف .

(٦) الوامق : المحب ، والأبيات مجموعة من : البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٦ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣١ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٦ ..

قريش ، وقد قمت إليه فسألتَه إياه قبله ، فأعطـاه إيـاه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ؛ فاتبعته ، فـأخرج عصـابـة لـه حمراء ، فعصب بهـا رأســه ، وكان مكتــوبــاً على أحــد طرفيهــا : « نصر من الله وفتــح قريب » ، وفي طرفهـا الآخر : « الجبـانـة في الحرب عــار ، ومن فرَّ لم ينج من النار »[1] ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابـة الموت ، وهذا ما كانت الأنصار تقوله إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنــا الــذي عــاهــدني خليلي[2] ونحن بــالسفـح لــدى النخيــل

ألاّ أقــوم للــدهر في الكيُّــول[3] أضرب بسيف الله والرســـــول

فجعل لا يلقى أحـداً إلا قتلـه ، وكان في المشركين رجل لا يـدع جريحاً مسلماً إلا ذفف عليه ، أي أسرع في قتله ، فجعل كل واحـد فيهما يـدنـو من صـاحبـه ، يقـول الـزبير : فـدعـوت اللهَ أن يجمـع بينهما ، فـالتقيـا ، فـاختلفـا ضربتين ، فضرب المشركُ أبـا دجـانـة ، فـاتقـاه

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) يعني رسول الله ﷺ ، وكان أبو هريرة يقول : حدثني خليلي ، وأنكره عليـه بعض الصحـابـة ، وقيل له : متى كان خليلك ؟! وإنمـا أُنكر عليه لقولـه ﷺ : « لو كنت متخـذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أُخوة الإسلام » . وليس في الحديث ما يـدفع أن يقول الصحـابي : حـدثني خليلي ؛ لأنهم يريدون به معنى الحبيب ، وإنما فيه أن النبي ما خص بها أحداً ، دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له ، وما كان في قلوبهم من المحبة لـه يقتضي هـذا ، وأكثر منـه ، مـالم يكن الغلو : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد الله ورسوله » .

(٣) الكيول : آخر الصفوف .

بدرقته ، فعضّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ، فقلت : الله ورسوله أعلم[1] .

وقال أبو دجانة : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمْت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

وهذا تكريم رائع للمرأة ، كي لا يقال : إن المسلمين قتلوا النساء وهن غير محاربات في الجيش ، فهن ظعائن خلف الجيش يحمسنَ فقط . وفي السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣١ ، يقول أبو دجانة سبب عدم قتل هند بوضوح : « لا ناصر لها » ، لا احتقاراً ونظرة دُون للمرأة ، بل احتراماً وتقديراً وتكريماً للمرأة ، وحماية لها .

☆ ☆ ☆

استشهاد حمزة رضي الله عنه :

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٧ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢١ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٢ .

اللــواء ، ثم مرّ بــه سبــاع بن عبــد العــزّى الغبشــاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلي يا بن مقطّعة البظور[1] ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قــال وحشي ، غــلام جبير بن مطعم : والله إني لأنظر إلى حمــزة يهـد[2] النـاس بسيفـه مـا يليق[3] بـه شيئـاً ، مثل الجمـل الأورق[4] ، إذ تقـدمني إليـه سبـاع بن عبـد العزّى ، فقـال لـه حمزة : هلم إلي يـا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة ، فكأنمـا أخطـأ رأسـه ، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليـه ، فوقعت في ثُنّتـه[5] حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فَغُلب فوقع ، وأمهلتـه حتى إذا مـات جئت فـأخـذت حربتي ، ثم تَنحَّيْتُ إلى العسكر ، ولم تكن لي بشيء حـاجـة غيره .

---

(١) كانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختّانة بمكة ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٠ .

(٢) يهد : يهلك .

(٣) ما يليق : ما يبقي .

(٤) الأورق : مغبر اللون .

(٥) ثُنّته : تحت السرة وفوق العانة ، وكان حمزة قـد عثر فـانكشف الـدرع عن بطنـه ، وفي روايـة : كان حـمزة يقـاتـل بسيفين وهـو يقـول : أنـا أسـد الله ، ولكنـه عثر عثرة وقـع منهـا على ظهره ، فانكشف الدرع عن بطنه فطعنه وحشي . (الروض الأنزه في مناقب سيـدنـا حمزة رضي الله عنـه لجعفر حسن البرزنجي الشافعي المفتي بطيبة ، ص ٣ ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية الظاهريـة بدمشق ، رقم : ٨٤٦٣) .

قال عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث ، عن سلمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان[١] ، فأدربنا مع الناس[٢] ، فلما قفلنا مررنا بحمص ، وكان وحشي قد سكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في أن نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة[٣] له ، فإذا شيخ كبير مثل البغات[٤] .

فإذا هو صاح لا بأس به ، قال : فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي ، فقال : ابن لعدي بن الخيار أنت ؟

(١) الخليفة الأموي الأول ، من : ٤١ هـ ، إلى : ٦١ هجرية .

(٢) أدربنا : اجتزنا الدروب .

(٣) الطنفسة : كل ما يجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب .

(٤) البغات : ضرب من الطير ، لونه أسود .

قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أُمك السّعدية التي أرضعتك بذي طوى[1] ، فإني ناولتكها وهي على بعيرها ، فأخذتك بِعُرضيك[2] ، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليّ فعرفتها . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟!

فقال وحشي : أما إني سأُحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيمة بن عدي قد أُصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أُحُد ، قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق ، فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلما أُخطئ بها شيئاً ، فلما التقى الناس ، خرجت أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته في عُرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدّاً ، ما يقوم له شيءٌ ، فوالله إني لأتهيأ له ، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني ، إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلي يا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، وهززت

---

(١) أم عبيد بن عدي قرشية أمية لا سعدية ، إلا أن يريد بها مرضعته إن كانت سعدية ، واسمها : أم قتال بنت أبي العيص بن أمية ، ذكرها البخاري في هذا الخبر ، ولم يقل إنها سعدية . أما عبيد الله بن عدي فولد في حياة رسول الله ﷺ ، ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك .

(٢) بِعُرضيك : بجانبيك .

حربتي حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه فوقعت في ثُنَّته حتى خرجت من بين رجليه[1] ، وذهب لينوء[2] نحوي فَغُلِب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وإنَّما قتلته لأُعتق ، فلما قدمت مكة أُعتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت[3] عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل : ويحك إنَّه والله ما يُقْتَل أحد من الناس دخل في دينه ، وتشهَّد شهادته .

فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه ، أتشهَّد بشهادة الحق ، وقال الناس : يا رسول الله هذا وحشي ، فقال ﷺ : دعوه فلإسلام رجل واحد أَحب إليّ من قتل ألف رجل كافر[4] . فلما رآني قال : أوحشي ؟

---

(١) قال حسان بن ثابت : والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارع ـ أي أطمة ـ فقلت : والله إن هذه لسلاح ماهي بسلاح العرب ، كأنها إنما تهوي إلى حمزة ولاأدري ، وفي البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٩ (حتى خرجت مابين وركيه) .

(٢) ينوء : ينهض متعباً .

(٣) تعيّا بالأمر كتعنى ، ويقال في المشي : أعييت وأنا عَييّ .

(٤) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٦٣ ، وأوردنا هنا رواية ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٢ . وهي أيضاً في :

قلت : نعم يا رسول الله ، قال : اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ، قال وحشي : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك !! غَيِّب عني وجهك ، فلا أرينك ، فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله ﷺ .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس ، رأيت مسيلمة الكذاب قائماً في يده السيف وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصاري[1] بالسيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ، فإن كنت قتلته ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد قتلت شر الناس .

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ وكان قد شهد اليمامة ـ : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

ولم يزل وحشي يشرب الخمر حتى خُلِعَ من الديوان[2] ، فكان عمر

البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٧ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٥١٦ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٣ ، والاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠١ .

(١) وهو عبد الله بن زيد ، وفي رواية : اشترك معهما أبو دجانة أيضاً .

(٢) ديوان المجاهدين أيام عمر رضي الله عنه .

ابن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة[1] .

☆ ☆ ☆

استشهاد مصعب بن عمير :

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتِل ، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً[2] ، فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب .

ولم يترك مصعب رضي الله عنه إلا نَمرة[3] ، يقول عبد الرحمن بن عوف : إذا غطينا بها رجليه خرج رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه (الإذْخِر)[4] . وكان مصعب بن عمير قبل الإسلام فتى مكة شباباً وجمالاً ولباساً وعطراً .

لقد أسلم مصعب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ، وكان يختلف إلى

---

(١) أي لم يكن ليترك من الابتلاء ، فتكرر حَدُّه في شرب الخمر ، وإخراجه من ديوان المجاهدين من أقبح الابتلاء ، من حديث رواه الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب ، (السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٣) .

(٢) لأن مصعباً رضي الله عنه كان إذا لبس لأُمته يشبه النبي ﷺ .

(٣) النَمِرة : بردة من الصوف .

(٤) الإذْخِر : ـ بكسر الهمزة ـ حشيش معروف طيب الرائحة .

رسول الله ﷺ سرّاً ، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي ، فأعلم أهله ، فأخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأُولى يفقّه أهلها ويقرئهم القرآن ، ويصلي بهم . وكان يسمى بالمدينة المقرئ ، وأسلم على يده أُسيد بن حُضَير وسعد بن معاذ ، وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام .

كان عمره يوم استشهد في أُحد أربعين سنة أو أكثر قليلاً .

قال سعد بن أبي وقاص : كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة ، وأجوده حُلَّةً مع أبويه ، ثم لقد رأيته جُهِد في الإسلام جهداً شديداً ، حتى لقد رأيت جلده يَتَحشَّفُ[1] كما يتحشّف جلد الحية .

وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : « ما رأيت بمكة أحسن لِمَّةً[2] ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير »[3] .

رحم الله مصعباً .. فلو لم يجد منتهى السعادة الروحية في إسلامه ، وغاية السرور في إيمانه ، مع كامل الصفاء القلبي في صحبة رسول الله ﷺ ، لما انقلب وتحوّل هذا التحوُّل الجذري في حياته وسلوكه .

---

(١) يتحشّف : يتقبض ويتقلّص .

(٢) لِمّة : من شعر الرأس دون الجمة، سُمّيت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين ، فإذا زادت فهي الجمة .

(٣) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، جـ ٥ ص ١٨١ .

ما أعظم هـذه العيّنـة من الرجـال ، ومـا أرقى تربيتهم التي ربـاهم عليهـا رسـول الله ﷺ . لقـد رفـع مصعب لـواء المسلمين في أُحـد ، وما وصل وارتقى إلى هذا المقام ، إلا بعـد أن تزكت روحـه ، وعشقت ربها ، واستنار قلبه بنور الله عز وجل ، فأنكر ذاته ، وعاش لعقيدته ، واستشهد من أجلها .

وسيبقى مصعب في تـاريخنـا من الخـالـدين ، مـع الشخصيـات الجليلة ، والنفوس النبيلة ، والأعلام العظام .

☆ ☆ ☆

ولما اشتـد القتـال يـوم أُحـد ، جلس رسـول الله ﷺ تحت رايـة الأنصار ، وقال : « اللهم بك أحول[1] ، وبـك أصول ، وفيـك أُقـاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل » . وأرسل ﷺ إلى علي رضي الله عنه أن تقـدَّم بالراية ـ بعد استشهاد مصعب ـ فتقدم علي يحمل الراية .

حَنظَلَة غَسِيلُ ٱلمَلَائِكَةِ :

استأذن حنظلة رسول الله ﷺ في قتل أبيه ـ أبي عامر الفاسق ـ ، فنهاه عن قتلـه[2] . وخلال المعركـة التقى حنظلـة وأبو سفيـان ، فلمـا

---

(١) أي أمنع .

(٢) السيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ٢٥٣ ، البـدايـة والنهـايـة ، جـ ٤ ص ٢١ ، الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٥٤ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ . واسم أبي عامر : عبد عمرو .

استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد علا أبا سفيان ، فضرب شداد حنظلة فقتله . فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض »[1] ، فسألوا أهله - بعد المعركة - ما شأنه ؟! فقالت زوجه جميلة بنت أُبي بن سلول ، أُخت عبد الله بن أُبي بن سلول ، وكان ابتنى بها تلك الليلة[2] ، فكانت عروساً عنده ، فرأت في النوم تلك الليلة كأن باباً في السَّماء فُتح له فدخله ، ثم أُغلق دونه ، فَعَلِمَت أنه ميت من غده ، فدعت رجالاً من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع . وقالت زوجه : خرج وهو جنب ، سمع الهاتفة ، ومنادي الجهاد ، فعجَّل عن الغسل إجابة للداعي[3] . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسلته الملائكة » ، والتمس في القتلى ، فوجدوه يقطر رأسه ماءً ، وليس بقربه ماء تصديقاً لما قاله ﷺ .

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٤ ، الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٦٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٤١ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١١٠ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٥ ، وابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٥ ...

(٢) ولدت له عبد الله بن حنظلة ، وهو الذي ولاّه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية .

(٣) جاء في الحديث الشريف : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة - منادي الجهاد - طار إليها » . ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٥ .

وقـال أبو سفيـان بن حرب ، وهو يـذكر صبره في ذلـك اليـوم ، ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نَجَّتْني كُمَيْتٌ طِمرَّةٌ[1] ولم أَحْمِـل النَّعماءَ لابنِ شَعُـوبِ

ومـا زالَ مُهْري مَزْجَرَ الكَلْبِ منهمُ لَـدُنْ غُـدْوَةٍ حتى دَنَتْ لِغُرُوبِ[2]

وسَلَّى الذي قـد كان في النَّفسِ أنني قَتَلْتُ من النَّجـارِ[3] كُـلَّ نَجيبِ

وَمِنْ هاشم قَرْماً[4] كريماً ومُصْعَباً وكان لـدى الهَيْجـاء غيرَ هَيُـوبِ

فلـــــــو أنني لم أَشْفِ نفسيَ منهمُ

لكانت شجـاً في القلبِ ذات نُـدوبِ[5]

فـآبُوا وقـد أَوْدَى الجـلابيبُ منهم بهم خَـدَبٌ مِنْ مُعْبِـطٍ وكئيبِ[6]

أصـابهُمُ من لم يكن لـدِمَـائِهم كَفِيّـاً ولا في خُطَّـةٍ بضرِيبِ[7]

فأجابه حسان بن ثابت :

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) أي لم يبعد عنهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر إليه الكلب ، والضمير المستتر في دَنَتْ للشمس .

(٣) بنو النجار ، من سكان المدينة ، وهم أخوال رسول الله ﷺ ، ولعلّه يعني الأنصار عموماً .

(٤) القرم : السيد ، يعني حمزة .

(٥) نـدوب : جمـع نـدب أو النَّـدَبَـةُ : أثر الجرح إذا لم يرتفـع عن الجلـد ، لســان العرب ، جـ ١ ص ٧٥٣ .

(٦) الجـلابيب : جمع جلبـاب ، وهـو الإزار الخشن ، وكان المشركـون يسمـون من أسلم الجـلابيب ، والخدب : الطعن النافذ ، والمعبط : الذي يسيل دمه .

(٧) ليست هـذه كل الأبيـات ، راجع ابن هشـام ، جـ ٣ ص ٢٥ ، والسيرة النبـويـة لابن كثير ، جـ ٣ ص ٤١ .

ذَكَرتَ القُرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ولستَ لِزورٍ قُلْتَهُ بمُصيبِ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدتَ حمزة منهمُ نجيباً وقد سَمَّيْتَهُ بنجيب
أَلَم يقتُلُوا عَمْراً وعُتْبَةَ وابنَهُ وشَيْبَةَ والحَجَّاجَ وابنَ حَبِيبِ !
غَداةَ دعا العاصي عَليّاً فراعَهُ بِضَرْبةِ عَضْب بلَّه بِخَضيبِ

وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيا دفع عنه :

لأَحمِينَّ صاحبي ونَفْسي بطعنةٍ مثلِ شعاعِ الشمسِ

وقال أيضاً :

ولولا دفاعي يا ابنَ حربٍ ومَشْهَدي لأُلْفِيتَ يومَ النَّعْفِ[1] غيرَ مُجيبِ
ولولا مَكَرِّي المُهْرَ بالنَّعفِ فَرفَرت[2]
عليه ضِبَاعٌ[3] أو ضِرَاءُ كَليبِ[4]



(١) النَّعف : ماانحدر من حزونة الجبل ، ويعني يوم أحد .
(٢) فرفرت : أسرعت وطاشت ، وفي ابن هشام والطبري : قرقرت « بالقاف » .
(٣) ابن هشام والطبري : ضِبَاعٌ عليه .
(٤) الضراء : الضارية من الكلاب .

عند فقد المبادأة
يستحيل تحقيق النصر

☆ ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُم في سَبيلِ اللهِ أو مُتُّم لمغفِرَةٌ مِنَ اللهِ ورحمةٌ خَيْرٌ مما يَجمَعُون ﴾ .

[آل عمران : ١٥٧]

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها . ولما قُتِل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد ، ولم يقدر أحد أن يدنو منه ، انهزم المشركون ، وولّوا لايلوون على شيء[1] ، ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهن وضربهن بالدفوف ، وألقين الدفوف ، وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن ، يرفعن ثيابهن ، وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح ، ويأخذون الغنائم . ففارقت الرماة محلهم الذي أمرهم ﷺ أن لايفارقوه ، ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ، فقالوا له : انهزم المشركون فما مقامنا هنا ؟ وانطلقوا إلى الغنائم .

---

(١) قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : احمل على جماعة من المشركين ، ففرّقهم ، وقتل فيهم ، ثم أبصر ﷺ جماعة أُخرى فقال له : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل منهم ، فقال جبريل : يارسول الله هذه المواساة ، فقال رسول الله ﷺ : إنّه مني وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكما ، يقال : سُمِع صوت عندها يقول : لاسيف إلا ذو الفقار ، ولافتى إلاّ عليّ .

وثبت عبد الله بن جبير مكانه ، وثبت معه دون العشرة ، وقال : لاأجاوز أمر رسول الله ﷺ . فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرماة ، وقلّة من به منهم ، فكرَّ بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله بن جبير ، ومثلوا به ، ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت أحشاؤه .

الزبير بن العوام يذكر سبب الهزيمة :

قال ابن العوام رضي الله عنه : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، مادون أخذهن قليل أو كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ، فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم[1] .

لقد أحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالغنائم ، ودخلت

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٩ ، الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٥٥ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٤ ، وفي الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ : قال الرماة : والله مانجلس هنا لشيء ، قد أهلك الله العدو ، وإخواننا في عسكر المشركين ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله أن لايتركوها ، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول ، فأوجفت الخيل فيهم قتلاً ، ولم تكن نبل تنضحها ، ووجدت مدخلاً عليهم ، فكان ذلك سبب الهزيمة .

خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها : ياللعزّى ، يـالهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون ، وتفرّق المسلمون في كل وجه مما أصـابهم من الدهش والحيرة[1] .

ولم يـزل لـواء قريش صريعـاً حتى أخـذتـه عمرة بنت علقمـة الحارثية ، فرفعته لقريش فاجتمعوا عليـه ، وكان اللواء مع صؤاب غلام لبني أبي طلحـة ، وكان صـؤاب حبشيـاً ، وكان آخر من أخـذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصـدره وعنقـه حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ؟

قال حسان بن ثابت في ذلك :

فخرتم بـالـلـواء وشرُّ فخرٍ ... لـواءٌ حين رُدَّ إلى صـؤابِ

جعلتم فَخْرَكم فيـه لعبـدٍ ... وألأم مَنْ يَطَـا عفرَ الترابِ

ظننتم والسَّفيـهُ لـه ظُنـونٌ ... ومـا إنْ ذاك مِن أمرِ الصوابِ

بـأنَّ جِـلاَدنـا يـوم التقينـا ... بمكـة بَيْعكم حُمر العيـابِ[2]

أَقرَّ العينَ أن عُصِبت يـداه ... ومـا إنْ تُعْصَبـان على خِضَـابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٩ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٥ . ويقول الحافظ ابن حجر في هزيمة المسلمين بأُحد : إنها شؤم ارتكاب النهي .

(٢) العياب : ماتضع فيه الناس حوائجهم .

إذا عَضَلٌ سيقت إلينا كأنها جدايةُ شِرْكٍ مُعَلمات الحواجبِ[1]
أقمنا لهم طعناً مبيراً مُنَكِّلاً وحُزْناهم بالضرب من كلِّ جانبِ
فلولا لواءُ الحارثية أصبحوا يُباعون في الأسواق بَيْع الجلائبِ[2]

☆ ☆ ☆

وانهزمت طائفة من المسلمين إلى جهة المدينة ، ولم يدخلوها . وقال رجال من المسلمين حيث نودي أن رسول الله قد قُتِل : (ارجعوا إلى قومكم يؤمنوكم) .

وقال ثابت بن الدحداح : يامعشر الأنصار ، إن كان محمد قد قتل فإن الله حيّ لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ، فنهض إليه نفر من الأنصار ، فحمل بهم على كتيبة فيها خالد وعمرو وعكرمة وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله ، وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم .

وقال بعض المنافقين : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، ياقوم إن محمداً قد قُتِلَ فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

---

(١) الجداية : الغزال ، وشرك : اسم موضع ، وعضل : اسم قبيلة .
(٢) الجلائب : مايجلب إلى الأسواق ليباع فيها .

وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة ، فلقيتهم أم أيمن ، فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به ، وأعطني سيفك .

قال البخاري : حدثنا عَبْدان « عبد الله بن عثمان المروزي » ، أخبرنا أبو حمزة ، عن عثمان بن مَوْهَب ، قال : جاء رجل حجَّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قال : هؤلاء قريش ، قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدّثني ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فرَّ يوم أُحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيَّب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلَّف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : فكبَّر ، مستحسناً لما أجابه ابن عمر ، لمطابقته لما يعتقده في عثمان رضي الله عنه .

قال ابن عمر : تعال لأُخبرك ولأُبيِّن لك عما سألتني عنه .

أما فراره يوم أُحد : فأشهد أن الله عفا عنه ، ﴿ ... ثمَّ صرفكم عنهم ليبتلِيَكُم ، ولقد عَفَا عنكم واللهُ ذو فَضْلٍ على المؤمنين ﴾[1] . وأما تغيُّبه عن بدر فإنه كان تحته بنتُ النبي ﷺ وكانت مريضة ، فقال له

---

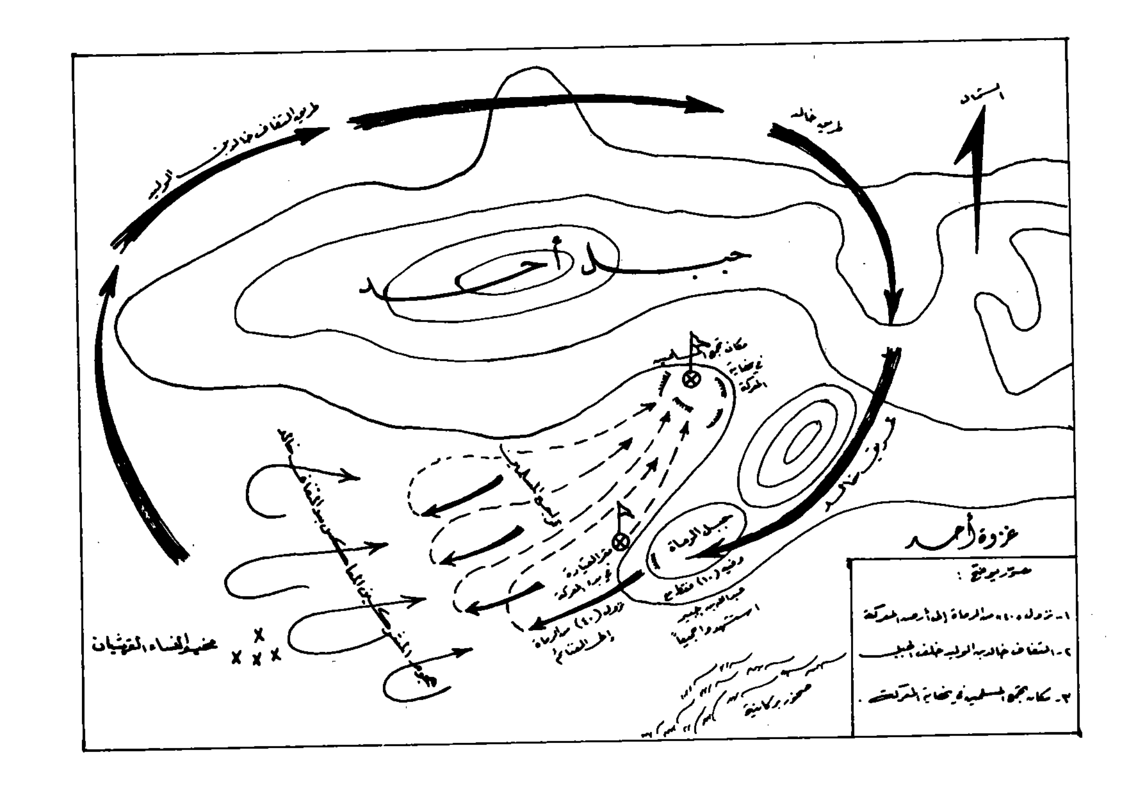
(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٢ .

رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه . وأما تغيُّبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحَدٌ أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعةُ الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان ، فضرب بها على يده ، فقال : هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك[1] .

☆ ☆ ☆

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٤ .



غزوة أحد
مصور توضيحي :
١- نزول ٤٠ من الرماة إلى أرض المعركة
٢- التفاف خالد بن الوليد خلف الجبل
٣- مكان تجمع المسلمين في نهاية المعركة .
جبل أحد
جبل الرماة
وفيه (١٠) مقاتلين
عبد الله بن جبير
استشهدوا جميعاً
نزول (٤٠) من الرماة
إلى الغنائم
مقر القيادة
في بدء المعركة
مكان تجمع المسلمين
في نهاية
المعركة
طريق التفاف خالد بن الوليد
طريق خالد
مخيم النساء القرشيات

إنّ لحظة واحدة
يمكنها أن تحدد مصير المعركة

☆ ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم ولو كنتَ فَظّاً غَليظَ القلبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُم واستَغْفِرْ لَهُم وشاوِرهُم في الأَمرِ ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّل على اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتوكِّلين ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

مَا أَصَابَ الرَّسُولُ يَوْمَ أُحُدٍ :

وانكشف المسلمون ، فأصاب العدو فيهم ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، وأكرم الله فيه مَنْ أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، وقذف بالحجارة حتى وقع لشقّه[1] ، فأُصيبت رباعيته ، وشُجَّ في وجهه ، وَكُلِمَت[2] شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص[3] .

---

(١) الشق : الجانب .

(٢) كلمت : جرحت .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٧ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٧ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٥ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٨ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ١٢ .

عن أنس بن مالك قال : كُسِرت رباعية النبي ﷺ يوم أُحد ، وشج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم وهو يدعوهم إلى الله ؟! فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ ليس لكَ مِنَ الأمرِ شَيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم أو يُعَذِّبَهُم فَإنَّهُم ظَالِمُون ﴾[1] .

وعن أبي سعيد الخدري قال : إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السُّفلى ، وجرح شفته السفلى ، ودعا عليه ﷺ بقوله : اللهم لايحول عليه الحول حتى يموت كافراً ، وقد استجاب الله عز وجل ذلك ، وقتله في ذلك اليوم حاطب بن أبي بلتعة . قال حاطب : رأيت مافعل عتبة برسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ : أين توجّه عتبة ؟ فأشار النبي ﷺ إلى حيث توجَّه ، فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه ، وأخذت فرسه وسيفه ، وجئت به إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي : رضي الله عنك ، رضي الله عنك مرتين[2] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٢٨ .

(٢) وهذا يخالف قول بعضهم : إنّه مات بعد أن أسلم بعد الفتح « الكامل في التاريخ ، جـ ١ ص ١٠٧ » .

وشجَّ عبد الله بن شهاب الزهري رسولَ الله ﷺ في جبهته[1] .

وإن ابن قَمِئَة الحارثي جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر[2] في وجنته ﷺ ، وقال لما تقدم نحو رسول الله : خذها وأنا ابن قمئة ، فقال رسول الله ﷺ : أقمأك الله عز وجل[3] ، واستجاب الله فيه دعوة نبيّه ﷺ ، فإنه بعد أُحد ، خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل ، فأخذ يعترضها ، فشدَّ عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطَّع .

وفي رواية : فسلَّط الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة[4] .

ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ، ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون ، وكان من سبب وقوعه أيضاً أن ابن قمئة الحارثي علاه ﷺ بالسيف ، فلم يؤثر فيه السيف[5] ،

---

(١) هذا عبد الله بن شهاب الأصغر ، أما عبد الله بن شهاب الأكبر فهو من مهاجرة الحبشة ، توفي بمكة قبل الهجرة ، وأسلم عبد الله الأصغر فيا بعد .

(٢) المغفر : حلق يجعل على الرأس يتقى به ضرب السلاح في الحروب . واسم ابن قمئة : عبد الله بن قمئة الحارثي .

(٣) أي صغَّرك وأذلَّك .

(٤) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤٦ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٩ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٠ .

(٥) لقد لبس ﷺ درعين ، أخذاً بالأسباب ، فلم يؤثر السيف فيه .

إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه الشريف ، فشكا ﷺ منه شهراً أو أكثر .

وأخذ علي رضي الله عنه بيد رسول الله ﷺ ، ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائماً ، لقد جلس طلحة تحت رسول الله ﷺ ، ثم نهض به حتى استوى ، وأجلسه على صخرة في الشِّعْب ، فقال رسول الله ﷺ : « أوجب طلحة » ، أي فعل شيئاً استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ماصنع[1] .

ومصَّ مالك بن سنان ـ أبو أبي سعيد الخدري ـ الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم ازدرده ، فقال رسول الله ﷺ : « من مسَّ دمي دمه لم تصبه النار »[2] .

ومما قاله ﷺ بحق مالك بن سنان : « من أراد أن ينظر إلى

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤٩ ، جاء : « واحتضنه طلحة حتى استوى قائماً » وقال ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » .

(٢) وكذلك عبد الله بن الزبير ، قال : أتيت النبي ﷺ وهو يحتجم ، فلما فرغ ، قال : ياعبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لايراك أحد ، قال : فشربته ، فلما رجعت قال : ياعبد الله ماصنعت ؟ قلت : جعلته في أخفى مكان علمت أن يخفى على الناس ، قال : لعلك شربته ؟؟ قلت : نعم ، قال : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس ، لن تمس النار جوفك إلا تحلَّة القسم . ولم يأمر النبي ﷺ بغسل فم الذي ازدرد الدم ، كل ذلك خصوصية لرسول الله ﷺ .

رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » وأشار إليه ، وفي لفظ : « من سرّه أن ينظر إلى من لاتمسه النار ، فلينظر إلى مالك بن سنان » . فاستشهد في أُحد ، رضي الله عنه .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : إن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ ، فسقطت ثنيته[1] ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأُخرى ، فكان ساقط الثنيتين .



مِنْ بُطُولاتِ الصَّحَابةِ في أُحُد :

قال الحافظ ابن حجر : صار المسلمون ثلاث فرق ، فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة ، فما رجعوا حتى انفض القتال ، وهم قليل ، وفي حقّهم نزل : ﴿ إنَّ الذينَ تَوَلَّوا منكم يومَ التقى الجَمْعَانِ إنَّما استزلَّهُم الشيطانُ ببعضِ ماكَسَبُوا ، ولقد عَفَا اللهُ عَنْهُم إن اللهَ غَفورٌ حَلِيمٌ ﴾[2] .

وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل ، فصارت

---

(١) ثنيته : الأسنان الأمامية « الثنايا » . ومن كُسِرت ثناياه فهو : أهْتَم ، لسان العرب ، جـ ١٢ ص ٦٠٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٥ .

غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه ، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة .

وفرقة تثبتت مع النبي ﷺ . ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه ﷺ حي[١] ، وجاء أنه ثبت بين يديه ﷺ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودَّع[٢] .

قال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من رجل يشري لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السَّكَن[٣] في نفر خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يُقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد بن السَّكن ، فقاتل حتى أُثْبِت[٤] ، ثم فاءت منه فئة من المسلمين ، فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فوسَّده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ[٥] .

☆ وقاتلت أم عمارة ، نُسَيبة بنت كعب المازنية يوم أُحد .

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٨ .

(٢) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤٢ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٣ .

(٣) زياد بن السَّكَن بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي الأشهلي ، يجتمع هو وسعد بن معاذ في امرئ القيس ، قتل شهيداً يوم أحد . « أسد الغابة في معرفة الصحابة ، جـ ٢ ص ٢٧٠ » .

(٤) أي حتى منعته جراحاته أن يفارق مكانه .

(٥) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٩ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٥ .

ذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه والدولة والريح[1] للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ ، قالت أُم سعد : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابكِ بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلانجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأُناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

وفي رواية : خرجت نُسَيبة يوم أُحد وزوجها زيد بن عاصم وابناهما خبيب وعبد الله[2] ، وقال لهم رسول الله ﷺ : « رحمكم الله أهل البيت ، بارك الله فيكم أهل البيت » ، فقالت له نسيبة : ادع الله

---

(١) أي إقبال النصر .

(٢) اشترك ابنها عبد الله بقتل مسيلمة الكذاب ، قالت نسيبة : رأيت الخبيث مقتولاً ، وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه ، فقلت : أقتلته ؟ قال : نعم ، فسجدت لله شكراً .

أن نُرافقك في الجنة . فقال ﷺ : « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنـة » . وعند ذلك قالت رضي الله عنها : ماأُبالي ماأصابني من أمر الدنيا .

وقـال ﷺ في حقهـا : « مـاالتفت يمينـاً ولاشمالاً يـوم أُحـد إلا ورأيتها تقـاتل دوني » . وقـد جُرِحت رضي الله عنهـا اثنى عشر جرحـاً بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف[1] .

☆ وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجـانـة بنفسـه ، يقع النبـل في ظهره وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل .

☆ وقـال المقـداد بن الأَسـود : يـاسعـد ، هـذا رسـول الله ﷺ يدعوك ، فقال سعد : وأين هو ؟ فأشار إليه ﷺ . يقول سعد بن أبي وقـاص : فقمت وكأنـه لم يصبني شيء من الأذى ، وأجلسني أمـامـه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عـدوك ، ورسول الله ﷺ يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته ، وأجب دعوتـه ، فكان سعـد مجـاب الـدعوة ، حتى إذا فرغ النبل من كنـانتي نثر ﷺ لي مـافي كنانته ، وانكشف الناس عنه ﷺ ، قال سعد : لقد رأيتني والنبي ﷺ يناولني النبل ويقول : ارم فـداك أبي وأُمي ، حتى إنّـه ليناولني السَّهم

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ ، البداية والنهايـة ، جـ ٤ ص ٣٤ ، السيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ٢٤٣ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٠ .

ماله نصل ، فيقول : ارم به . وجاء أن سعداً رضي الله عنه رمى يوم أحُد ألف سهم مامنها سهم إلا ورسول الله ﷺ يقول : ارم فداك أبي وأمي ، ففدّاه ذلك اليوم ألف مرة[1] .

وكان ﷺ يفتخر بسعد ، ويقول : « هذا سعد خالي[2] ، فليرني امرؤ خاله » ، وكان رضي الله عنه إذا غاب يقول النبي ﷺ : « مالي لاأرى الصبيح المليح الفصيح » .

ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سِيَتُها[3] ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأُصيبت يوم أحد عين قتادة[4] حتى وقعت على وجنته ، وقيل : صارت في يده ، فأتى بها رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله فلم تفقد منها شيئاً ، فقال : يارسول الله ، إن الجنة لجزاء جميل ،

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٤ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤١ و ٤٥ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٢٧ .

(٢) لأن سعداً رضي الله عنه كان من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ منهم . « السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤١ » .

(٣) سيتها : طرفها .

(٤) لإصابة عين قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه ، راجع : السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٧ ، الاكتفاء : جـ ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٣ ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٥ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٦ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٤ .

وعطاء جليل ، ولكني لي امرأة أحبها ، وأخشى إن رأتني أن تقذرني ، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردّها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسه جمالاً ، وقال ﷺ : اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك ، اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدّهما[1] ، فكانت لاترمد إذا رمدت الأُخرى .

قال الأصمعي : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان ، فقال : مِمَّن الرجل ؟ فقال مرتجلاً :

أنا ابنُ الذي سالَتْ على الخدّ عينُه　　فَرُدَّت بكفّ المصطفى أحسنَ الردّ
فعادَتْ كما كانت لأوَّلِ أمْرِها　　فيا حُسْنَها عَيناً ويا حُسْنَ ما خَدّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارِمُ لاقَعْبان من لبنٍ　　شِيبا بماءٍ فَعادا بعدُ أبوالا !

ووصله عمرُ وأحسن جائزته[2] .

---

(١) أحدّهما : أقواهما نظراً .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٣ ، السيرة النبوية والآثار المحمديّة ، جـ ٢ ص ٥٨ .

☆ ورمى أبو طلحة الأنصاري[1] ، وكان رجلاً رامياً شديد الرمي ، فنثر كنانته بين يدي رسول الله ﷺ ، وصار يقول : نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوقاء ، فلم يزل يرمي بها ، وكان الرجل يمرّ بالجَعْبَةِ من النبل فيقول ﷺ : انثرها لأبي طلحة ، وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة ، وصار رسول الله ﷺ يشرف[2] ليرى مواضع النبل ، فيقول له أبو طلحة : يانبي الله بأبي أنت وأمي ، لاتشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ، ويتطاول أبو طلحة بصدره ليقي رسول الله ﷺ[3] .

☆ ولم يشهد أنس بن النضر[4] بدراً ، فشق عليه ذلك ، فلما كان يوم أُحُد قال : يارسول الله ، إني غبت عن أول قتال وقع قاتلتَ فيه المشركين ، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينَّ الله ماأصنع ، فلما رأى تراجع المسلمين قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء[5] ،

---

(١) أبو طلحة الأنصاري اسمه : زيد بن سهل ، قال عنه رسول الله ﷺ : « صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل » ، وفي رواية : « خير من فئة » ، راجع أُسد الغابة ، جـ ٢ ص ٢٨٩ و جـ ٦ ص ١٨١ .

(٢) ينظر إلى القوم .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٠ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤١ .

(٤) عم أنس بن مالك ، قال أنس بن مالك : سُمّيت به ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٢ .

(٥) يعني المسلمين .

وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء[1] ، ولما سمع قتل رسول الله ﷺ ، مَرَّ برجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : مايجلسكم ؟!؟ قالوا : قُتِل رسولُ الله ﷺ ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟! ، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل المشركين ، وقال لسعد بن معاذ : ياأبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة ، ورب الكعبة أجد ريحها دون أُحُد[2] ، وقاتل رضي الله عنه حتى قُتل ، فوجد فيه بضع وثمانون جراحة ، مابين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ومثَّل به المشركون ، فما عرفته أخته « الربيع » إلا ببنانه .

☆ وأُصيب عبد الرحمن بن عوف في فيهِ يومئذ فهتم[3] ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، إصابة بعضها في رجله فعرج[4] . وكان أوَّل

---

(١) يعني المشركين ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٢ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣١ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٧ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٠ .

(٣) هتم : كسرت ثنيته .

(٤) كان ابن عوف عظيم التجارة ، فكثر ماله ، حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البُرّ والدقيق والطعام ، فلما دخلت المدينة ، سُمِع لأهل المدينة رجَّة ، فقالت عائشة : ما هذه الرَّجة ؟ فقيل لها : عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف ، سبعمائة بعير تحمل البُرّ والدقيق والطعام ، فقالت عائشة : سمعت النبي ﷺ يقول : يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حَبْواً ، فلما بلغه ذلك قال : =

من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، بعد أن قال الناس : قُتِل رسول الله ﷺ كعبُ بن مالك ، قال كعب : عرفت عينيه تزهران[1] من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليَّ رسول الله ﷺ أن أنْصِت . فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم ومعه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين[2] .

☆ ☆ ☆

مقتل أبيّ بن خَلَفْ :

وفي الشِّعْبِ أُسند رسول الله ﷺ إلى صخرة ، فأدركهُ أُبيٌّ بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال ﷺ : دعوه ، فلما

يا أمَّه ، إني أُشهدك الله أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله عز وجل . والأحلاس : جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، والقتب للبعير بمثابة البرذعة للحمار ، أُسد الغابة ، جـ ٣ ص ٤٨٠ .

(١) تزهران : تُضيئان .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣١ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٤ .

دنا ، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضة تطاير بها من حوله تطاير الشَّعراء[1] عن ظهر البعير ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها .

وكان أُبي بن خلف حين افتدي من الأسر ببدر يقول : والله إن عندي العَوْذ ، فرساً أعلفها كل يوم فَرَقاً[2] من ذرة ، أقتل عليها محمداً . فبلغت رسول الله ﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما رجع أُبي بن خلف إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك من بأس ، قال أُبي : إنه قد كان قال : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني ، فمات بسَرِف[3] وهم قافلون به إلى مكة[4] .

قال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد وَرِثَ الضلالةَ عن أبيه	أُبيٌّ يومَ بارَزَه الرسولُ
أَتيتَ إليه تَحْمِلُ رِمَّ عَظمٍ	وتُوعده وأنت به جَهولُ

---

(١) الشَّعراء : ذباب له لذع .

(٢) الفرق : مكيال يسع اثنى عشر رطلاً .

(٣) سَرف : موضع على ستة أميال من مكة .

(٤) وفي رواية : أن النبي طعنه طعنة وقع منها مراراً من على فرسه ، وجعل يخور ، كما يخور الثور إذا ذبح ، (السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤٤) .

وقـد قتلتْ بنـو النجـار منكم | أميَّـةَ إذ يُغَـوِّث : يـا عَقيـلُ
وتَبَّ ابنـا ربيعـة إذ أطـاعـا | أبـا جهـل لأُمِّها المُبُـولُ
وأفلتَ حـارثٌ لـمَّـا شُغلنـا | بـأَسْرِ القـومِ أُسْرتـه فَليـلُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا منْ مُبْلِـغٌ عنِّي أُبَيّـاً | فقـد أُلقيتَ في سُحْـقِ السَّعيرِ
تمنَّى بـالضَّلالـةِ مِن بعيـدٍ | وتُقْسم أنْ قَـدرتَ مـع النـذورِ
تمنِّيـك الأَمـاني مِنْ بعيـدٍ | وقـولُ الكفر يَرْجـع في غُرورِ
فقـد لاقتـك طعنـةُ ذي حِفـاظٍ | كريم البيت ليس بـذي فُجـورِ
لـه فضـلٌ على الأحيـاء طُرّاً | إذا نـابت مُلمَّـاتُ الأُمـورِ[1]

☆ ☆ ☆

وعنـدمـا كان رسـول الله ﷺ في فم الشِّعْب ، خرج علي بن أبي طالب ، حتى ملأ درقته ماء من المِهْراس ، فجاء بـه إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد لـه ريحاً ، فعافـه ، فلم يشرب منـه ، وغسل عن وجهه الدم[2] ، فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب لـه مـاء ، فلم

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٩ ، وابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٢ .
(٢) ولما غُسِل جرح النبي زاد دمه ، فأحرقت بعدها فاطمة حصيراً حتى أصبح رماداً ، وكَمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم .

يجد ، فذهب إلى (مياه) ، فأتى منها بماء عذب فشرب رسول الله ﷺ ، ودعا له بخير ، وصبَّ على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه .

فبينا رسول الله ﷺ بالشِّعْب معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل[1] ، فقال رسول الله ﷺ : اللّهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

وصلى رسول الله ﷺ يوم أُحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً[2] .

☆ ☆ ☆

مقتل اليمان وابن وقش :

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد ، رفع حُسَيل بن جابر[3] ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : (ما أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله

---

(١) كانت كوكبة من الخيل ، عليها خالد بن الوليد .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧١ .

(٣) حسيل بن جابر هو أبو حذيفة بن اليمان ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٣ .

لا بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار[1] ، إنما نحن هامة[2] اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ؟) .

فأخذا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما . فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي ، فقالوا : والله إنْ عرفناه ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدّق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً .

مقتل قزمان منافقاً :

قال عاصم بن عمر بن قتادة : كان عندنا رجل غريب ، لا ندري ممن هو[3] ، يقال له : قُزْمَان ، وكان ذا بأس وقوة ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أُحد قاتل قزمان قتالاً شديداً ، وكان يرمي النبال كأنها الرمال ، ثم فعل بالسيف

---

(١) يُضْرَب لقرب الأجل ، فالظمء مابين الشربتين ، والحمار لا يصبر على العطش .

(٢) الهامة كما تزعم العرب : طائر يخرج من رأس القتيل يصيح : اسقوني اسقوني لا يسكت حتى يؤخذ بثأره .

(٣) أي يظهر الإسلام .

الأفاعيل ، ولما أُخبر ﷺ بذلك قال : إنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، وأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، لأنه كان حليفاً لهم ، فجعل رجال من المسلمين يقولون : والله لقد ابتليت اليوم يا قزمان فأبشر ، فيقول : بماذا أُبشر ، فوالله ما قاتلت إلا على أحساب قومي[1] ولولا ذلك ما قاتلت[2] .

وقال له قتادة رضي الله عنه : هنيئاً لك الشهادة يا أبا الغيداق ، فقال قزمان : إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير إلينا قريش حتى تطأ أرضنا . فلما اشتدت عليه الجراحة ، أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه[3] ، وعند ذلك جاء رجل إلى رسول الله فأخبره بذلك ، فقال ﷺ : « أشهد أنّي رسولُ الله حقاً »[4] .

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أيٌّ ذلك في سبيل الله ؟

---

(١) أي على شرفهم ومفاخرهم ، ومناصرة لهم .

(٢) فلم يقاتل لإعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائها .

(٣) قطع عروقاً في باطن الذراع يقال لها الزواهق ، وقيل أيضاً : جعل ذباب سيفه في صدره بين ثدييه ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧١ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٣١ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٢ ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ص ١١٢ .

فقال ﷺ : « من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ، وقال : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »[1] .

مَقتَلُ مُخَيرِيق :

وكان ممن قتل يوم أُحد مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطْيَون ، قال لما كان يوم أُحد : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم سبت ، قال : لا سبت لكم ، فأخذ سيفه وَعُدَّته وقال : إن أُصبتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ : مخيريق خير يهود . وجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق ، وكانت سبع حوائط ، أوقافاً بالمدينة لله . فكانت أوَّل وقفٍ بالإسلام[2] .

الأصَيْرِم عَمْرُو بن ثابت بن وَقش » :

رَجُلٌ دخلَ الجنَّةَ لم يُصَلِّ قط ، فكيفَ كانَ ذلك ؟!؟

كان أُصَيْرم يأبى الإسلام على قومه ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد ، شرح الله صدره للإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته فغدا

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٨٠ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٧ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٣١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٣ .

حتى دخل في عُرض الناس[1] ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذ هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك ، أم رغبة في الإسلام ؟

قال الأُصيرم : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمت ، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمن أهل الجنة[2] .

عمرو بن الجموح :

كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، فلما كان يوم أُحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال

---

(١) عُرض الناس : جانبهم وناحيتهم .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٣ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٤ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٣ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٧ .

ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه وقد أخذ سلاحه وأقبل على القبلة وقال : اللّهم ارزقني الشهادة ولا تردّني خائباً إلى أهلي ، وقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أُقتل ، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : كأنّي أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة[1] واستشهد رضي الله عنه في أُحد .

☆ ☆ ☆



ومثّلتِ هند بنت عتبة ـ والنسوة اللاتي معها ـ بشهداء أُحُد ، يجدعن الآذان والآنُفَ ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفِهم خَدَماً[2] وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

---

(١) وفي رواية قال ﷺ : « لقد رأيته يطأ في الجنة بعرجتِه » ، ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه في أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ، ثم تصير صحيحة في الجنة .

(٢) الخدم : الخلاخيل .

نحن جَـزَيْنـاكم بيـومِ بـدرِ والحربُ بعـدَ الحرب ذاتُ سُعْرِ
مـا كان لي عن عُتْبـة مِنْ صبرِ ولا أخي وعمّـه وبَكرِ
شفيتُ نفسي وقضيتُ نَـذْري شفيتَ وحشيٌّ غليـل صـدري
فشُكْرُ وحشيٌّ عليَّ عُمْري حتى ترِمَّ أَعْظُمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثَاثة بن عَبَّاد بن المطلب فقالت :

خَـزِيتِ في بـدرٍ وبعـدَ بـدرِ يـا بنتَ وقّـاعٍ عظيم الكُفْرِ
صَبَّحـكِ الله غـداةَ الفجرِ مِ الهـاشميين الطـوالِ الـزُّهرِ[1]
بكلِّ قَطّـاع حُسـامٍ يَفْري حمـزةُ لَيْثي وعليٌّ صَقْري
إذا رامَ شيْبٌ وأبـوكِ غَـدْري فخضَّبـا منـه ضـواحي النحرِ
ونَذْركِ السوءَ فشَرٌّ نَذْرِ[2]

ومرَّ الحليس بن زَبَان ، أخـو بني الحـارث بن عبـد منـاة ، وهـو يـومئـذ سيـد الأحـابيش ، مرَّ بـأبي سفيـان ، وهـو يضرب في شـدق حمزة بن عبد المطلب ، بزج الرمح ، فقال الحليس : يـا بني كنـانـة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه مـا ترون لحمـاً[3] ، فقـال أبو سفيـان :

---

(1) مِ الهاشميين : أرادت من الهاشميين ، والزُّهر : البيض .

(2) الأبيات في : ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٦ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٤ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٨ .

(3) أي ميتاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

ويحك !! اكتمها عني ، فإنها كانت زلة[1] .

وحين أراد أبو سفيان الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال[2] ، وإن الحرب سجال ، مرة لنا ومرة علينا ، يوم أُحد بيوم بدر ، يوم نُسَاء ويوم نُسَر ، حنظلة بحنظلة[3] ، وفلان بفلان .. أُعْلُ هُبَل[4] ، أُعْلُ هُبَل ..

فقال رسول الله ﷺ : قم ياعمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لاسواء[5] ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلمَّ إليّ ياعمر ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : ائته فانظر ماشأنه ، فجاء فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال أبو سفيان : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر[6] .

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله مارضيت ، وماسخطت ، ومانهيت ، وماأمرت ، ولما همَّ بالانصراف ومن معه

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٨ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٧ .

(٢) خطاباً لنفسه وللأزلام التي استقسم بها قبل خروجه من مكة ، ويقصد : بالغنا في فعالنا .

(٣) حنظلة بن أبي سفيان قُتل ببدر ، وقتل حنظلة غسيل الملائكة بأُحد .

(٤) أي زد عُلُوّاً ، وأظهر دينك .

(٥) أي نحن وأنتم لسنا سواء ، ولاينبغي لك أن تقول هذا .

(٦) لقول عبد الله بن قمئة : إني قد قتلت محمداً .

نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وقال له : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل[1] وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها ، ثم لأُناجزنهم .

قال علي رضي الله عنه : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .



لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ؟

لقد فكَّر أبو سفيان في نهب المدينة ، فهذا أمر يخطر في البال ، مادام جيش المسلمين في أُحُد يعتني بجرحاه ، ويدفن قتلاه ، بعد أن أعاد تجمُّعَه . ولكن صفوان بن أُمية قال : لاتفعلوا ، فإنكم لاتدرون مايغشاكم فيها .

---

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

حقّق أبو سفيان بعد هزيمة نصراً لم يكن يملك مقومات تحقيقه ، ولولا خطأ الرماة ماأحرزه ، فهو ليس بقدرة احتلال المدينة بعد تنظيم جيش المسلمين ، وعندها سيشترك كل من في المدينة ـ شيوخاً ونساء وصبياناً ـ في سحق أبي سفيان ومن معه .

لقد اكتفى المشركون بقيادة أبي سفيان سمعة بين القبائل ، وأعادوا اعتبار قريش بعد هزيمة بدر . فتحقق الهدف الإعلامي من أُحد .

وعرف أبو سفيان أيضاً قدرة المسلمين العسكرية الحقيقية ، بدليل .. لما أراد الرجوع إلى حمراء الأَسد ـ كما سيمر معنا ـ وعلم أن النبي ﷺ أعاد استعداداته وسار إليه ، فرَّ أبو سفيان ومن معه ، فرَّ المنتصرون ، فهم على يقين أنهم ليسوا بقدرة المسلمين القتالية .

إن النصر الذي أحرزه أبو سفيان ، أحرزه مغلوب منهزم ، أخطأ خصمه خطأ واحداً قرَّر مصير المعركة لصالح المنهزم المغلوب ، ولولاه ماعرف النصر . فآثر الانسحاب إلى مكة ، وعدم دخول المدينة ، حفاظاً على الكسب الذي حقّقه ، ولم يكن بمقدوره تحقيقه لولا خطأ الرماة المسلمين .

☆ ☆ ☆

بعد أحد

☆ « ادفنوهم حيث صُرِعوا ،
ادفنوهم بدمائهم وثيابهم »[1] .
« رسول الله ﷺ »

سعد بن الربيع « رحمه الله نصح لله ولرسوله حيّاً وميتاً » :

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ : من رجل ينظر لي مافعل سعد بن الربيع ؟ في الأحياء هو أمْ في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار ، وهو محمد بن مسلمة[2] : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد . فنادى في القتلى : ياسعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجب أحد ، قال : ياسعد إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ماصنعت ، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أمْ في الأموات ؟

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٥ .
(٢) أو : « أُبي بن كعب » .

قال سعد بن الربيع : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السّلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ماجزى نبيّاً عن أُمّته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم :إنّه لاعذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ﷺ ، ومنكم عين تطرف ، اللهَ ، اللهَ وماعاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، فوالله مالكم عند الله عذر[1] .

ثم لم يبرح محمد بن مسلمة حتى مات سعد ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، فقال ﷺ : « رحمه الله ، نصح لله ولرسوله حيّاً وميتاً » .

دخل رجل على أبي بكر الصديق وبنتٌ لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يقبّلها ويلاعبها ويلاطفها في حنان ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير منّي ، سعد بن الربيع ، كان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أُحُد .

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٤ ، الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٧١ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١١٢ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٨ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٨ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٩ .

سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَة :

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بُقِر بطنُهُ عن كبده ، ومُثِّل به ، فَجُدع أنفه وأذناه ، فلما رأى ﷺ مارأى ، قال : لولا أن تحزن صفيَّة ، ويكون سُنَّة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السِّباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأُمَثِّلنَّ بثلاثين رجلاً منهم[1] .

وقال ﷺ : رحمة الله عليك ، فإنك كنت ماعلمتك فعولاً للخيرات ، وصولاً للرحم . وبكى رسول الله ﷺ وانتحب حتى شهق ، وقال : ياعم رسول الله ، وأسد الله ، وأسد رسول الله ، ياحمزة يافاعل الخيرات ، ياحمزة ياكاشف الكربات ، ياحمزة ياذاب[2] عن وجه رسول الله[3] .

وقال المسلمون لما رأوا حزن رسول الله ﷺ وغيظه على مافعل

---

(١) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦١ وفي الروض الأُنف (مخطوطة) ص ٤ « لأُمثلن بسبعين منهم » .

(٢) الذاب : المانع الدافع ، مختار الصحاح ، ص ٢١٩ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٠ ، وابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٩ .

بعمّه : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر ، لنمثّلن بهم مُثْلَةً لم يمثلها أحد من العرب .

وقال ﷺ وهو واقف أمام جثة حمزة : لن أُصاب بمثلك أبداً[1] ، ماوقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا ، ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله[2] .

وأنزل الله عزَّ وجل في قول رسول الله ﷺ ، وقول أصحابه : ﴿ وَإِن عاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ماعُوقِبتُم به ، وَلَئِن صبرتم لهو خير للصَّابرين ، واصْبِر وَمَاصَبْرُكَ إلا باللهِ ، ولاتَحْزَن عليهم ولاتَكُ في ضيقٍ مِمَّا يمكُرُون ، إنَّ اللهَ مع الذينَ اتقوا والذين هُم مُحْسِنُون ﴾[3] . فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثْلَةِ[4] . وصار كلما فارق مقاماً أمر بالصَّدقة .

وقال ﷺ لأصحابه : « استووا حتى أُثني على ربي عز وجل ،

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٠ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٩ .

(٢) وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد ، إخوة من الرضاعة ، أرضعتهم ثويبية مولاة لأبي لهب .

(٣) سورة النحل ، الآيات الكريمات : ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ .

(٤) وفي الروض الأنزه ، ص ٤ : « فقال ﷺ : بل نَصْبِر ، وكفَّر عن يمينه » ، المخطوطة .

فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : اللهم لك الحمدُ كلُّه ، اللهم لاقابضَ لما بسطت ، ولاباسط لما قبضتَ ، ولاهاديَ لمن أضللت ، ولامُضلَّ لمن هديت ، ولامُعطيَ لما منعت ، ولامانع لما أعطيت ، ولامقرِّب لما باعدت ولامُبْعد لما قرَّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .

اللهم إني أسألك النعيمَ المقيمَ الذي لايَحُول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيْلة ، والأمنَ يوم الخوف .

اللهم إني عائذٌ بك من شرِّ ماأعطيتنا ، وشرِّ مامنعتنا .

اللهم حَبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفَّنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غيرَ خزايا ولامفتونين .

اللهم قاتِل الكفرة الذين يُكذِّبون رسلك ويصدُّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رِجْزَك وعذابك .

اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب[1] ، إله الحق[2] » .

---

(١) أوتوا الكتاب ولم يأخذوا بأحكامه .

(٢) رواه النسائي ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٨ .

وأقبلت صفيَّة بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة ، وكان أخاها لأبيها وأُمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها لاترى مابأخيها ، فقال لها : ياأُمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي ، قالت : وَلِمَ ؟ وقد بلغني أنْ قد مُثِّل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، قال ﷺ : خَلِّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه ، واسترجعت قائلة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، واستغفرت له . ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن[1] .

وسجي حمزة بثوب ألقاه عليه رجل من الأنصار ، ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه ، فقال ﷺ : « ياجابر هذا الثوب لأبيك » ، وكُفِّن حمزة بنمرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه ، وإن مدوها على رجليه انكشفَ رأسه ، فمدوها على رأسه ، وجعلوا على رجليه الإذْخِر أو الحَرْمَل[2] .

وجاء في بعض الروايات : « ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجي

---

(١) الروض الأنزه ، ص ٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٩ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١١٣ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤١ .

(٢) نباتان معروفان في الحجاز . وجابر الذي خاطبه رسول الله ﷺ هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي .

ببردة ثم صلى عليه ، فكبّر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم ، وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة »[1] .

لقد أجمع الفقهاء على ترك غسل الشهيد ، واختلفوا في الصلاة عليه ، والأرجح أن حديث الصلاة هذا لم يثبت ، ولهذا لم يأخذ به فقهاء الحجاز والأوزاعي[2] .

ودفن مع حمزة في قبر واحد ابن أخته عبد الله بن جحش[3] ، وكان قد مثِّل به ، غير أنه لم يبقر بطنه .

وذكر سعد بن أبي وقاص أنه هو وعبد الله بن جحش دَعَيا بدعوة فاستُجيبت لهما ، فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين شديداً بأسه ، شديداً حرده[4] ، فيقتله ، ويأخذ سلبه . فقال عبد الله آمين .

ثم استقبل عبد الله القبلة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم

---

(١) وهذا غريب وسنده ضعيف كما يذكر ابن كثير في السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ٨٠ ، تفرّد به الإمام أحمد ، وضعفه في سنده من جهة عطاء بن السائب .

(٢) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٤ ، وفي الروض الأنزه ، ص ٥ ، جاء : « ولم يصلّ عليه ﷺ كما هو الأثبت » . وراجع : البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٠ ، والروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٧٩ ، وفي ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٦ : « ولم يصلِّ النبي على الشهداء » .

(٣) أمه أُمية بنت عبد المطلب ، فحمزة خاله .

(٤) الحَرَد : الغضب ، مختار الصحاح ص ١٢٩ .

لقني اليوم فارساً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، يقتلني ويجدع أنفي وأُذني ، فإذا لقيتك غداً تقول لي : ياعبدي : فيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وأُذناك ؟ فأقول : فيك يارب وفي رسولك ، فتقول لي : صدقت ، قل ياسعد : آمين ، قال سعد : فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مجدوع الأنف والأُذنين ، ولقيت أنا فارساً من المشركين فقتلته ، وأخذت سلبه[1] .

☆ ☆ ☆

مَاوَرَدَفِي شُهَدَاءِ أُحُد :

☆ ﴿ ولاتحسبنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيل الله أَمواتاً بل أَحياءٌ عند ربهم يُرزقون ﴾[2] .

عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هذه الآية ، فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانكم بأُحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطّلع الله عز وجل عليهم اطلاعه

---

(١) قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ، وسمي عبد الله رضي الله عنه (المُجدَّع في الله) بعد جدع أنفه وأُذنيه ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٦٩ .

فيقول : ياعبادي ، ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ماأعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! « يُسألون ويجيبون ثلاثاً » ثم يقولون : إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم نُرَدّ إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أُخرى[1] .

ونظر رسول الله ﷺ إلى جابر بن عبد الله وقال : « مالي أراك مُهْتَماً ؟ قال : قلت : يارسول الله قُتِل أبي وترك دَيْناً وعيالاً[2] ، فقال : ألا أُخبرك ؟ ماكلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كَلَّم أباك كِفَاحاً ، وقال له : ياعبدي سَلْني أعطك ، فقال : أسألك أن تردَّني إلى الدنيا فأُقْتَل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق مني القول : أنهم إليها لايرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله : ﴿ ولاتحسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون ﴾ » .

وقال ﷺ في قتلى أُحد : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، أنه ما من جريح يُجْرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحه ،

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٨ . السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٦٨ .

(٢) قال جابر : لما حضر أُحُد ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ماأراني إلا مقتولاً في أول من يُقتَل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإني لاأترك بعدي أعزّ علي منك غيرَ نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليَّ دَيناً فاقضِ واستوص بأخواتك خيراً ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٧ .

اللون لونُ دم ، والريح ريح مسك » .

وأمر رسول الله ﷺ بنزع الحديد والجلود عنهم ، وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم ، ادفنوهم حيث صُرعوا »[1] .

وقال ﷺ : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرَّجلين والثلاثة في القبر الواحد ، قيل : يا رسول الله فأيُّهم يُقدَّم ؟ قال : أكثرهم قرآناً » . وفي رواية : « انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر ، انظروا إلى عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد[2] » .

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، وأرسل بعضهم ناضحاً[3] ليحمل شهيداً إلى المدينة ، فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يُدْفَن إلا مع إخوته » ، أي حيث صُرِع .

وروى البيهقي عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى فَرْضة الشِّعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٥ .

(٢) جاء في (الروض الأنزه ، ص ٥) : ودفن حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير في قبر واحد .

(٣) الناضح : البعير ، (مختار الصحاح ، ص ٦٦٤) .

عُقْبى الدار » ، ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله[1] .

☆ ☆ ☆

العودة إلى المدينة المنورة :

ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، كانت حَمْنَةُ بنت جحش على مشارفها ، فلما لقيها الناس نعوا إليها أخاها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة منها لبمكان ، لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها ، ثم قال لها : لِمَ قلت هذا ؟! قالت : تذكرت يتم بنيه فراعني ، فدعا لها ﷺ أن يحسن الله تعالى عليهم الخلف ، فتزوَّجت طلحة بن عبيد الله ، فكان أوصل الناس لولدها ، وولدت له محمد بن طلحة[2] .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٢ ص ٨٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٧ ، وطلحة بن عبيد الله من العشرة المبشّرين بالجنة ، وماضيه في الإسلام عريق ، اتقى النبل في أُحد عن رسول الله بيده ، حتى شَلّت إصبعه ، قال أبو بكر الصديق : (ذاك يوم طلحة) ، ونزفه يوم أُحد الدم حتى غشي عليه ، ونفخ أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال له أبو بكر : هو بخير ، وهو أرسلني إليك ، فقال : الحمد لله ، كل مصيبة بعده جَلَل ، أي قليلة ، إنه : طلحة الخير ، طلحة الفيّاض .

وجـاءت أم سعـد بن معـاذ تعــدو نحـو رسـول الله ﷺ وهـو على فرسه ، وسعد بن معاذ آخذ بلجامها ، فقـال لـه سعـد : يـا رسول الله أُمّي ، فقال ﷺ : مرحباً بها ، فوقف لها ، فـدنت حتى تـأملت رسول الله ﷺ فعزّاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ ، فقالت : أمـا إذا رأيتك سالماً فقد اشتويت المصيبـة ـ أي استقللتهـا ـ ، ودعـا رسول الله ﷺ لأهل من قُتِل بأُحد ، بعد أن قال لأُم سعد : يا أُم سعـد أبشري ، وبشّري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنـة جميعـاً ، وقـد شفعـوا في أهلهم جميعاً ، قالت : رضينا يا رسول الله ، ومَنْ يبكي عليهم بعد هذا ؟ ، ثم قـالت : يـا رسول الله ، ادع لمن خلفوا ، فقـال : « اللّهم أذهب حـزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا » .

ومرَّ ﷺ بـامرأة من بني دينـار ، وقـد أُصيب زوجهـا وأخـوهـا وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد ، فلما نُعُوا لهـا قـالت : فمـا فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، قـالت : كل مصيبـة بعدك جلل[1] .

---

(١) جلـل : تريـد صغيرة ، وجـاء في السيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ٢٦٥ : قـالت : أرونيـه حتى أنظر إليه ، فلما رأته ﷺ قـالت : كل مصيبـة بعـدك جلل ، ولم تكترث بمقتل أخيهـا وأبيهـا وزوجهـا وابنها ، حتى جاءت رسول الله ﷺ وأخذت بناحية ثوبه ، ثم جعلت تقول : بـأبي أنت وأمي يـا رسول الله ، لا أُبالي إذ سلمت من عطب ، واسم المرأة : (أُم عامر الأشهلية) على الأغلب .

وسمع ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن وإخوانهن ، فقال بعد أن ذرفت عيناه : لكن حمزة لا بواكي له ، فأمر سعد بن معاذ وأسيد بن حضير نساء من قومهما أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة[1] .

ونزل ﷺ عن فرسه مستنداً على السَّعدين ، ودخل بيته ، ولما أذن بلال لصلاة المغرب ، خرج ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السَّعدين ، فصلى ﷺ ، فلما رجع من المسجد سمع البكاء ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين حمزة ، فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن ، وقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن ، ونهى يومئذ عن النوح[2] .

وباتت وجوه الأنصار تلك الليلة على بابه ﷺ بالمسجد يحرسونه ، خوفاً من أي طارئ ، أو تحسباً من أن ترسل قريش عيناً ، أو رجلاً مأجوراً ليقتل رسول الله ﷺ ، كما فعلت بعد بدر .



(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٨ .

(٢) لم ينه عن البكاء ، ولكنه نهى ﷺ : « إن فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعراً ولا يشققن جيباً » .

غَسْلُ السُّيُوفِ:

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ، ناول سيفه (ذو الفقار) إلى ابنته فاطمة ، وقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنيَّة ، فوالله لقد صدقني اليوم . وناولها علي رضي الله عنه سيفه فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وقال رضي الله عنه :

أفَاطِمُ هاتي السيف غير ذميمِ فلستُ برعديدٍ ولا بلئيمِ[1]

فقال ﷺ : لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدق معك سهل بن حنيف[2] وأبو دجانة .

---

(١) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٧٦ .

(٢) سهل بن حنيف : كان مشهوراً بالرماية ، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ في أُحُد ، وبايعه على الموت ، ولما انكشف الناس ، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ ، ويقول ﷺ : انبلوا سهلاً ، أي أعطوه نبلاً . (السيرة النبوية والآثارِ المحمدية ، جـ ٢ ص ٤٣) .

غزوة حمراء الأسد

الأحد ١٦ من شوال ٣ هـ

☆ لقد كان رسول الله ﷺ بارعاً في علم النفس ، فحفظ معنويات جنوده مرتفعة عالية ، قال ﷺ : « لايصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا »[١] .

وفي يوم الأحد السادس عشر من شوال ، السنة الثالثة للهجرة ، أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأن لايخرجنَّ معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس[٢] .

وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام : يارسول الله ، إن أبي كان خلَّفني على أخوات لي سبع ، وقال : يابني ، إنه لاينبغي لي ولالك أن نترك هؤلاء النسوة لارجل فيهن ، ولست بالذي أوثرك

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٩٤ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٧ ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٧ .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٤ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٩ وفي السيرة النبوية لابن كثير : فقال عبد الله بن أُبي بن سلول : أنا راكب معك ، فقال رسول الله ﷺ : لا .

بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّف على أخواتك ، فتخلَّفتُ عليهن ، فأذِنَ له رسول الله ﷺ ، فخرج معه[1] .

سَبَبُ حَمْراءِ الأَسَد :

خرج رسول الله ﷺ والمسلون في طلب أبي سفيان والمشركين ، إرهاباً لهم ، وليظنوا أن بهم قوة ، وأن الذي أصابهم في أُحُد لم يوهنهم عن عدوهم[2] .

وتلاوم المشركون ، وقال بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكة القوم وحدَّهم ، ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغن منهم .

أمام هذا الواقع ، وعلى مافي المسلمين من قروح ، أمر رسول الله ﷺ بطلب العدو ليسمعوا بذلك ، وليعلموا أن بالمسلمين قوة تقف في وجههم ، وأن انتصار المغلوب ، سينهار مع الزمن القريب .

وشهد رجل من بني عبد الأشهل ـ مع أخيه ـ أُحُداً مع رسول الله

---

(١) ومرَّ معنا استشهاد أبيه في أحد ، ومكانته بين الشهداء .

(٢) قال ابن سعد : « ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحل ـ أي لم يحل بعد أُحُد ـ فدفعه إلى علي بن أبي طالب » عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٣٨ .

ﷺ ، ورجعا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو . فقال لأخيه : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟! والله مالنا من دابة نركبها ، ومامنا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان إذا غلب حملته عُقْبَة[1] ، ومشى عُقْبة ، حتى انتهينا إلى ماانتهى إليه المسلمون .

فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

☆ ☆ ☆

مَعبدُ بن أبي مَعبد الخزَاعي

ومرَّ معبد بن أبي معبد الخزاعي بالمسلمين ، وكانت خزاعة - مسلمهم ومشركهم - مكمن سرّ رسول الله ﷺ بتهامة ، لايخفون عنه شيئاً كان بها ، شعورهم وميلهم مع رسول الله ﷺ ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يامحمد ، أما والله لقد عز علينا ماأصابك ، ولوددنا أنَّ الله عافاك فيهم .

ثم خرج معبد ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا

---

(١) عُقبة : بوزن عُلْبة : النَّوبة .

سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء[1] ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدَّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكُرنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرَّقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلَّف عنه في يومكم ، وندموا على ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال أبو سفيان : ويحك ! ماتقول ؟ قال معبد : والله ماأرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل . قال أبو سفيان : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال معبد : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني مارأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر ، قال : وماقلت ؟ قال معبد : قلت :

كادَتْ تُهدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[2]

تردي بأُسْدٍ كرام لاتَنَابلةٍ ... عند اللقاء ولاميلٍ معازيلِ[3]

---

(١) الرَّوْحاء : اسم لموضع بين مكة والمدينة ، قال ياقوت : « الروح والراحة من الاستراحة ، ويوم روح أي طيب » ، معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٧٦ والروحاء فج واسع يقع على طريق المدينة - مكة ، على مقربة من حمراء الأسد .

(٢) الجرد : عتاق الخيل ، والأبابيل : الجماعات .

(٣) تردي : تسرع ، والتنابلة : القصار ، والميل : الذين لارماح معهم ، والمعازيل : العُزَّل من السلاح .

فظلت عَدْواً أظنُّ الأرضَ مائلةً ... لمَّا سَمَوا برئيسٍ غير مخذولِ

فقلت ويلَ ابن حرب من لقائكمُ ... إذا تَغَطْمَطَتِ[1] البطحاءُ بالجيلِ[2]

إني نذيرٌ لأهلِ البَسْل[3] ضاحيةً ... لكل ذي إربةٍ منهم ومعقولِ

من جيش أحمد لاوَخْشٍ[4] تنابلة ... وليس يوصف ماأنذرتُ بالقيلِ

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه[5] .

ومرَّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولِمَ ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلِّغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمِّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السيرَ إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم[6] .

فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه[7] بالذي

---

(١) تغطمطت : اهتزت .

(٢) الجيل : الصنف من الناس .

(٣) أهل البسل : قريش ، والضاحية : الظاهرة للشمس ، والإربة : العقل .

(٤) الوخش : الرديء ، رذلة الناس .

(٥) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ١٠٠ .

(٦) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٨١ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٥ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٧ .

(٧) في الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٨١ : « وكان الموصل مقالته للمؤمنين نُعيم بن مسعود » .

قال أبو سفيان ، فقال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

ومن أسباب عودة أبي سفيان وانسحابه إلى مكة ، قول صفوان بن أُمية لقريش : لاتفعلوا ، فإن القوم قد حربوا[1] ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال رسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همُّوا بالرَّجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوِّمت لهم حجارة ، لو صُبِّحوا بها ، لكانوا كأمس الذاهب »[2] .

وفي حمراء الأسد ، كان المسلمون يوقدون تلك الليالي ـ الاثنين والثلاثاء والأربعاء ـ خمسمائة نار ، حتى تُرى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل جهة[3] . وأظهرت هذه النيران أن المسلمين أُلوف مؤلفة ، وأن عددهم كبير جداً .



(١) حربوا : غضبوا .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٦ .

(٣) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٧ .

أبو عَزّة الجمحي الشاعر :

☆ « المؤمن لا يُلْدَغ من جُحْرٍ مرتين » .
لقد جعل ﷺ التجربة قريناً للإيمان .

وظفر ﷺ بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ، وكان قد أسره ببدر ، ثم مَنَّ عليه من غير فداء لأجل بناته ، وكان شاعراً يشتغل بسب النبي ﷺ وهجاء أصحابه ، ويستنفر الناس للقتال ، وكان عاهد النبي ﷺ بعد بدر على أن لا يعود إلى شيء من ذلك ، فلما مَنَّ عليه وأطلقه ، رجع إلى مكة ونقض العهد ، واشتغل بما كان مشتغلاً به قبل من السَبِّ والهجاء ، فلما كان يوم أُحُد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال ، فلما نزل المشركون بحمراء الأَسد نزل معهم ، ثم ساروا وتركوه نائماً ، فأدركه المسلمون وأسروه ، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، فلما ظفر به ﷺ قال : يارسول الله أقلني وامنن علي ودعني لبناتي ، وأُعاهدك أن لاأعود ، فقال ﷺ : « لا والله لاتمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، إن المؤمن لايُلْدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه ياعاصم بن ثابت » ؛ فضرب عنقه[1] .

☆ ☆ ☆

(١) اعتمدنا رواية السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٩ ، والبداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٦ .

وظفر ﷺ أيضا بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان ، أبو أُمه عائشة ، فأمر بقتله ، وخلاصة قصته ، أنه لما رجع المشركون من أُحُد ، ذهب على وجهه ، ثم أَتَى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فدقَّه ، فقالت أُم كلثوم بنت رسول الله ﷺ : من أنت ؟ قال : ابن عم عثمان ، فقالت : ليس هو هنا ، فقال : أرسلي إليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه . فجاء عثمان رضي الله عنه ، فلما نظر إليه قال : أهلكتني وأهلكت نفسك ، فقال : يابن عم ، لم يكن أحد أمس بي منك فأجرني . فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله ، وجعله في ناحية ، ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أَماناً من رسول الله ﷺ ، فسمع رسول الله ﷺ يقول : إن معاوية بالمدينة فاطلبوه ، فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت إليهم أُم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان ، بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ أَمرهم بذلك ، فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ ، فأمر بقتله ، فقال عثمان رضي الله عنه : والذي بعثك بالحق ماجئت إلا لآخذ له أماناً ، فهبه لي ، فوهبه له وأجله ثلاثاً ، وأقسم أنه إن وجده بعدها قتله .

وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثاً ليستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً ، فلما كان في اليوم الرابع ، عاد

رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فخرج معاوية هارباً ، فقال ﷺ : إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه ، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقتلاه[١] .

☆ ☆ ☆

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان لعبد الله بن أُبي بن سلول مقام يقومه كل جمعة لاينكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه[٢] ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس . حتى إذا صنع يوم أُحُد ماصنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ماصنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجراً[٣] أن قمت أشدد أمره ، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك !! قال : قمت أشدد أمره ، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ،

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٨ .

(٢) عزّروه : عظموه .

(٣) البجر : الأمر العظيم ، والبجاري : الدواهي .

لكأنما قلت بجراً أن قمت أُشدد أمره ، قال الأنصاري : ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ماأنتغي أن يستغفر لي .

لقد كان يوم أُحُد ، يومَ بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .



ما أنزل الله في أحد من القرآن الكريم

☆ قال المسور بن مخرمة لعبد الرحمن بن عوف : « أخبرني عن قصتكم يوم أُحد ، قال : اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ .

أنزل الله ستين آية فيها صفة ما كان في يوم أُحد ، وهي أواخر سورة آل عمران[1] .

﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم ﴾[2] ، أي سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون . ﴿ إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ أي تتخاذلا ، والطائفتان هما : بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، يقول تعالى : ﴿ والله وليهما ﴾ أي المدافع عنهما ماهمتا به من فشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما ، فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته ، حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ، ولحقتا بنبيهما ﷺ .

---

(١) من الآية الكريمة : ١٢٠ ، حتى آخر السورة الآية الكريمة : ٢٠٠ .

(٢) سنورد هنا بعض الآيات .

وقالت الطائفتان : مانحب أنا لم نهم بما هممنا به ، لتولي الله إيانا في ذلك .

ثم ذكر عز وجل سبب المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ، ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ أي نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص ، ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين ﴾ ، أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ، ﴿ والله لايحب الظالمين ﴾ ، أي المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرّة على المعصية ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ أي يختبر الذين آمنوا ، ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ ، أي يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ماليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به .

ثم قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ﴾ فدخول الجنة يكون بعد اختبار بالشدة ، وابتلاء بالمكاره . ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ ، ﴿ وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ ، ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وماستكانوا ، والله يحب الصابرين ﴾ .

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبُّون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة[1] ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ ، أي : وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسُّونهم بالسيوف ، أي القتل ، بإذني وتسليطي أيديكم عليهم ، وكفي أيديهم عنكم .

﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ﴾ أي : اختلفتم في أمري ، وتركتم أمر نبيِّكم ، وما عهد إليكم ، يعني الرماة ﴿ وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ أي الفتح ، وهزيمة العدو ، ﴿ منكم من يريد

---

(١) قال ابن عباس : (هو عبد الله بن جبير الذي كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألاّ يخالفوا أمر نبيّهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهد واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة) ، الروض الأنف ، جـ ٣ ص ١٩٤ .

الدنيا ﴾ الذين أرادوا الغنائم وتركوا ما أُمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ، ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ ، الذين جاهدوا في الله ، ولم يخالفوا ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، رجاء ما عند الله عز وجل من حسن ثوابه في الآخرة .

﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم في أُخراكم ، فأثابكم غماً بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ أي كرباً بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال : قُتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غماً بغم ، ﴿ والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أَهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ ، ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ﴾ ، فأنزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، والله لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم ذكر سبحانه وتعالى المصيبة التي أصابتهم ، فقال : ﴿ أو لمَّا

أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنَّى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ ، إن تك أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم ، فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، في اليوم الذي كان قبله ببدر ، قتلاً وأَسْراً ، ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم .
﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنين ﴾ ، إن ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذني ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري ، وصدقتكم وعدي ، ليميز بين المؤمنين والمنافقين ﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴾ منكم ، وليظهر ما فيهم ، ﴿ وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ﴾ يعني عبد الله بن أُبيّ بن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوه من المشركين بأُحد ، وقولهم : « لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكنا لا نظن أنه يكون قتال » فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم ، يقول عز وجل : ﴿ هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴾ فهم يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم منه شيء ﴿ والله أعلم بما يكتمون ، الذين قالوا لإخوانهم ﴾ الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : ﴿ لو أطاعونا ما قُتِلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ ، فلا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، لقد نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، حرصاً على البقاء في الدنيا ، وفراراً من الموت .

ثم قـال عـز وجـل ، يرغّب المـؤمنين في الجهـاد ، ويهـون عليهم الموت : ﴿ ولا تحسبن الـذين قتلوا في سبيل الله أمواتـاً بل أحيـاء عنـد ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بـالـذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، فالذين قتلوا في سبيـل الله أحيـاء عنـد ربهم يرزقـون في نعيم الجنـة وفضلهـا ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه[1] .

وأنزل عز وجل بالـذين استجـابوا لله ولرسولـه على الـذي بهم من البـلاء ، وانطلقـوا إلى حمراء الأسـد يحملـون جراحـاتهم : ﴿ الـذين استجـابوا لله والرسول من بعـد مـا أصـابهم القرح للـذين أحسنـوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ .

﴿ الذين قال لهم الناس إن النـاس قـد جمعوا لكم فـاخشوهم فزادهم إيمـانـاً ، وقـالوا : حسبنـا الله ونعم الوكيـل ، فـانقلبـوا بنعمـة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

وكانت آخر آية في سورة آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .



---

(١) تفسير الآيات في ابن هشام ، جـ ٣ ، من ص ٤٧ إلى ص ٥٧ .

خاتمة

نتائج أُحُد

☆ « مما لا شك فيه أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقّق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطة ، وصار الأمر فوضى وخسراناً » .

☆ استشهد من المسلمين يوم أُحُد سبعون[1] ، قال تعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مِثْليها .. ﴾ ، أي إن المسلمين قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، مثلي ما أُصيب منهم يوم أُحُد .

وجرح منهم مائة وخمسون .

وتذكر الروايات التاريخية أنه قُتِل من المشركين ثلاثة وعشرون فقط[2] ، وهذا الرقم فيه نظر ، فقد جاء أن علياً وطلحة وأبا دجانة ..

---

(١) أربعة من الشهداء من المهاجرين ، وهم : حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وشمّاس بن عثمان ، وستة وستون من الأنصار ، راجع أسماءهم جميعاً بعد هذه الخاتمة .

(٢) وجرح من قريش خمسون .

قتل كل واحد منهم ثمانية أو تسعة من المشركين ، وقتل حمزة وحده واحداً وثلاثين !؟! ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأحد احتمالين :

١ ـ إما أن قريشاً حملت بعض قتلاها .

٢ ـ وإما أنها دفنت بعضهم . وهذا مالم يذكره المؤرخون .

☆ وأظهر أعداء الإسلام بعد أُحُد شماتتهم ، وقالوا أقبح القول .

فأُحُد هزّة عنيفة حاول المسلمون أن يتماسكوا بعدها ، واستطاعوا تحقيق ذلك بعد يوم واحد فقط ، ولكن القبائل حول المدينة حاولت استغلالها والانقضاض على المسلمين ، والغدر بهم ، ففشلوا .

قال اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أُصيب منه ما أُصيب ، ولكنه طالب مُلْك ، تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون : ما محمد إلا طالب مُلْك ، ما أُصيب بمثل هذا نبيٌّ قط ، أُصيب في بدنه ، وأُصيب في أصحابه ، ولو كان من قُتِلَ معه عندنا ما قتل . فاستأذن عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ في قتل هؤلاء المنافقين ، فقال ﷺ : أَليسوا يظهرون الشهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ؟ قال عمر : بلى ، ولكن تعوُّذاً من السيف وقد بان أمرهم ، وأبدى الله أضغانهم ، فقال ﷺ : نُهِيتُ عن قتل من أَظهر ذلك .

لقد أساء المنافقون قبل أُحُد وبعدها . أَساؤوا بعدها بدَعاواتهم المُضَلِّلة ، وأساؤوا قبلها عند انسحابهم ، فشقُّوا بذلك الصفوف ، وأضعفوا القوى . ومع ذلك ما ظهر من رسول الله ﷺ إلا كل صبر وحلم وأناة على الرغم من نفاقهم ودعاواتهم . ولكنه ﷺ قال عند انسحابهم : « إنها طيبة ، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة » ، فمثل أحداث أُحد ، عملية فرز تطهِّر المجتمع ، ليبقى صافياً نقيّاً نظيفاً .

☆ ولقد جرت حكمة الله عز وجل أن الرسل تبتلى ، ثم تكون العاقبة لهم ، ولو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ، ولما تميَّز الصادق من غيره ، فاقتضت الحكمة الجمع بين النصر وتأخيره ليتميَّز الصادق من الكاذب .

ولو قطع الله كل يد امتدت إلى رسول الله في حينه ، لما بقي إسلام بعده ، فلا صبر لداعية ، ولا تحمُّل لمسلم ، ولقيل : إن الله لم ينتصر لنا كما انتصر لنبيِّه ، فتحمُّلهُ ﷺ أُسوة وقدوة لتحمل الدعاة المجاهدين من بعده ، فتأخير النصر في بعض المواطن حكمة ، فهو لتربية النفوس ، ولكسر شموخها وتعاظمها ، فلما كان الابتلاء والامتحان ، صبر المؤمنون ، وجزع المنافقون .

كما أن أَجْر كل نبيّ في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقَّة

الحاصلة له من المخالفين له ، وعلى قدر ما يقاسيه منهم ، وله أجر الهداية لمن أطاعه أيضاً ، ولا أحد أكثر من نبينا ﷺ في ذلك ، فلم يتّفق لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له ﷺ من كثرة ما قاساه من قومه ، ومن ثم بعد الصبر والجهاد ، من كثرة ما أجابه من الأمم .

☆ كما هيَّأ الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الصادقين منازل في دار كرامته ، فقيض لهم أسباب الابتلاء ، ليصلوا إليها ، بفضله ومنّته أولاً ، وبصبرهم وجهادهم واستشهادهم ثانياً .

فالشهادة من أعلى مراتب المؤمنين المخلصين الصادقين ، فساقهم الله إليها إكراماً لهم ، حيث اتخذ منهم شهداء ، وكانوا يتمنّون ذلك قبل لقاء العدو .

☆ وكان ما حدث بعد مخالفة الرماة ، كافياً بعد التفاف خالد بن الوليد بفرسانه[1] ، لإفناء جيش كامل ، وتحطيم كل قواته وعتاده ، ولكن انسحاب النبي ﷺ ببراعة إلى شِعْب أُحُد ، حنكة حربية ، وتقدير للموقف دقيق ، مع سرعة في اتخاذ القرار الصحيح في الوقت

---

(١) لم يوضح المؤرخون أن تصرف خالد بن الوليد بأمر من أبي سفيان لكونه القائد العام المُخَطِّط ، أمْ بمبادرة شخصية من فكره العسكري ، والأرجح أن خالداً تصرف من ذاته ، وحسب تقديره هو للموقف .

المناسب ، مع السيطرة التامة على سير الأحداث ، وبـذلـك تجنَّب ﷺ خطر الإفناء الكامل لقواته .

لقد كان رسول الله ﷺ وهو في أشد ساعات الحرج في أُحُد ، مثال الاتزان والهدوء ، والنظرة الصحيحة الثاقبة البعيـدة المـدى ، مع القرار السريع ، الذي يحمل في ثناياه الحكمة التامة .

لقد كان مصير الجيش بعد التطويق الإفناء لا محالة ، وبخاصة بعد أن أحدث التطويق ارتباكاً حتى فقد المسلمون قدرة التميز بين الصـديق والعـدو ، فقتل بعضهم بعضـاً ، فـاستطـاع ﷺ أن يجعل الخسـارة أقل مـا يكون ، ففـكَّ طوق الحصـار ، وأمَّن سـلامـة الجنـد ، مـع العلم أن المشركين المطوِّقين ، كانوا خمسة أمثال المسلمين المطوَّقين .

☆ ولم يخطر بباله ﷺ لحظة أن أُحُـداً قـد رسمت مصير دعوتـه في المستقبل ، بل هو على يقين أنها صورة عارضـة ، سرعـان مـا تتلاشى ، فقال ﷺ لعلي رضي الله عنه : « لن ينالوا منا حتى يفتح الله علينا » . فمع ما في القول من أهمية النبوءة واستشفاف الغيب ، وقلنـا : إن نبوءة واحدة ، يأتي الواقع خلافاً لها ، كافيـة لتنفي النبوَّة كلهـا ، فلو لم يكن محمد بن عبد الله رسول الله حقاً وصدقاً ، لما ألزم نفسـه ﷺ بمثل هـذه النبوءات ، ولكنه رسول الله حقاً ويقينـاً ، ولا ينطق عن الهوى . وفي رباطة جأشه ﷺ ، وفي هـدوء أعصـابـه ، وفي صموده وثبـاتـه ، درس

عظيم للمسلمين ، فهو دليل على مبلغ ثقته بالله ، ويقينه أن العاقبة للتقوى .

وكانت حمراء الأسد ، بأمره ﷺ ، مناورةً عسكرية رائعة وبارعة ، أعادت الروح المعنوية الرفيعة العالية للمسلمين ، وأعادت هيبتهم ومكانتهم بين القبائل بعد ما سمعوا بأُحُد . فقنع زعيم قريش أبو سفيان من أُحد بغنيمة العودة إلى مكة فرحاً بسمعة الفوز والغلبة ، مع اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان إفناؤهم أمراً سهلاً ، يمكن تحقيقه ، لو امتلك أبو سفيان خبرة عسكرية ، وحنكة حربية .

☆ ☆ ☆

يقول كارل بروكلمان في (تاريخ الشعوب الإسلامية) ، ص ٥٢ : « وكان على محمد أن يعوِّض هذه الخسارة التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر ، ففكَّر في القضاء على اليهود ، فهاجم بني النضير ، لسبب واهٍ ، وحاصرهم في حَيِّهم ، وإذ لم يجرؤ إخوانهم في الدين من بني قريظة ، على أن يسعفوهم ، فقد اضطروا إلى الاستسلام بعد حصار دام بضعة أسابيع ، ثم إنهم هاجروا إلى واحة خيبر ، التي تقع على مسافة عشرين ميلاً شمالي المدينة ، والتي كانت تنزل فيها جالية كبيرة من اليهود » .

وهذا قول كله افتراء ومخالفة للحقيقة التاريخية :

لقد كانت مهاجمة بني النضير حلقة في سلسلة حروب المسلمين ضد اليهود ، ذلك لأن اليهود كانوا يتجسَّسُون للمشركين ، وكانوا يساعدونهم على قتال المسلمين ، مع أن بينهم وبين الرسول معاهدات على لزوم الحياد ، فلما كانوا يخرقون هذا الحياد مرة بعد مرة ، فقد أراد الرسول أن يجليهم عن مساكنهم حتى يأمن كل شر منهم في المستقبل .



وأخيراً ..

مما لا شك فيه ، أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، قديمها وحديثها ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقّق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطة ، وصار الأمر فوضى وخسراناً .

وهذا ما حدث في أُحُد ، فقد خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ ، وهو القائد الأعلى ، وخرجوا على أميرهم عبد الله بن جبير وهو قائد كتيبتهم ، واندفعوا مع رغباتهم في حيازة الغنائم ، ففسدت بذلك الخطة التي وضعها القائد ، ورتّب خطواتها على أساس الطاعة التامة من الجنود ، فكانت مخالفة الجنود سبباً في فساد الخطة ، وكان فساد الخطة

سبباً في اضطراب الجيش ، وكان اضطراب الجيش سبباً في تحوّل النصر إلى هزيمة ، وقد أوشكت هذه الهزيمة أن تكون ساحقة لولا رعاية الله ولطفه[1] .

☆ ما الذي دفع الرماة إلى هذه المخالفة التي خرقت الخطة العسكرية ، وأوقعتهم في الهزيمة ؟

- أهو الخروج على طاعة القائد ؟
- أمْ هو الحرص على اغتنام الغنائم وجمع الأسلاب ؟
- أمْ هو خطأ التقدير لظروف المعركة وملابساتها ؟

إنهم تأوّلوا قول رسول الله ﷺ حين رأوا الأعداء منهزمين ، وإخوانهم يجمعون الغنائم ، فلا بأس من مغادرة المواقع والاشتراك في جمع الغنائم ، فأراد الله أن يدرك المؤمنون سُنَّةً من سننه في خلقه ، أن النصر لا يكون إلا بأسبابه ، وأن الهزيمة لها أسبابها أيضاً ، حتى لو كان رسول الله بين الصحابة في المعركة .

وهذا يدل بوضوح على أن صلاح العقيدة وحده غير كاف لتحقيق النصر ، فللنصر نواميسه وأسبابه ، وأن الأخذ بهذه الأسباب من صلاح هذه العقيدة .. إن منهج الله ثابت ، وموازينه ثابتة .

---

(١) صور من حياة الرسول ، ص ٣٦٩ وما بعدها .

« لقد ربّى الله الجماعة الإسلامية في هزيمة أُحد العسكرية ، وهي في مطلع خطواتها لقيادة البشرية ، ربَّاها بالابتلاء بالشدة ، بعد الابتلاء بالرخاء ، والابتلاء بالهزيمة المرَّة بعد الابتلاء بالنصر ، هذا وذاك وضعا وفق أسبابهما ، ووفق سنن الله الجارية في النصر والهزيمة ، لتتعلم هذه الجماعة أسباب النصر والهزيمة ، ولتزيد طاعة الله ، توكلاً عليه ، والتصاقاً بركنه ، وتطبيقاً لشرعه ، ولتعرف طبيعة هذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين » .



شهداء أحد

☆ آمنت قلوبهم بالله ربّاً ، وبمحمد بن عبد الله رسولاً نبياً ، فاسترخصت البذل والعطاء والفداء لأن موعدها الجنة ، وهذه عقيدة في الإسلام فعلت الأعاجيب .

استشهد من المسلمين يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين القرشيين أربعة نفر[1] :

١ ـ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه .

٢ ـ عبد الله بن جحش .

٣ ـ مصعب بن عمير .

٤ ـ شمَّاس بن عثمان .

واستشهد من الأنصار :

٥ ـ عمرو بن معاذ بن النعمان .

---

(١) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٥٩ . وراجع : مجموعة أسماء أهل بدر وأُحد المسمَّاة : (بجالية الكُرَب بأصحاب سيد العجم والعرب) ، لجعفر بن حسن البرزنجي ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم : و ـ ١٨٢٧ .

٦ ـ الحارث بن أنس بن رافع .

٧ ـ عمارة بن زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس .

٨ ـ سلمة بن ثابت بن وقش .

٩ ـ عمرو بن ثابت بن وقش .

١٠ ـ ثابت بن الدَّحْداح الأوسي .

١١ ـ رفاعة بن وقش .

١٢ ـ أبو حذيفة اليمان حسيل بن جابر .

١٣ ـ صيفي بن قيظي .

١٤ ـ حباب بن قيظي .

١٥ ـ عباد بن سهل .

١٦ ـ الحارث بن أوس بن معاذ .

١٧ ـ إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو .

١٨ ـ عبيد بن التيهان .

١٩ ـ حبيب بن يزيد بن تَيم .

٢٠ ـ يزيد بن خاطب بن أُمية بن رافع .

٢١ ـ أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد .

٢٢ ـ حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك (غسيل الملائكة) .

٢٣ ـ أنيس بن قتادة .

٢٤ ـ أبو حية بن عمرو بن ثابت ، أخو سعد بن خيثمة لأُمِّه .

٢٥ ـ عبد الله بن جبير بن النعمان ، أمير الرماة .

٢٦ ـ خيثمة أبو سعد بن خيثمة .

٢٧ ـ عبد الله بن سلمة .

٢٨ ـ سُبيع بن حاطب بن الحارث بْن قيس .

٢٩ ـ عمرو بن قيس .

٣٠ ـ وابنه : قيس بن عمرو بن قيس .

٣١ ـ ثابت بن عمرو بن زيد .

٣٢ ـ عامر بن مخلد .

٣٣ ـ أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك .

٣٤ ـ عمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو .

٣٥ ـ أوس بن ثابت بن المنذر .

٣٦ ـ أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب (عم أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ) .

٣٧ ـ قيس بن مخلد ، من بني مازن بن النجار .

٣٨ ـ كيسان ، من بني مازن بن النجار ، عبد لهم ،

٣٩ ـ سُلَيْم بن الحارث . من بني دينار بن النجار .

٤٠ ـ نعمان بن عبد عمرو .

٤١ ـ خارجة بن زيد بن أبي زهير .

٤٢ ـ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير .

٤٣ ـ أوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان .

٤٤ ـ مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر (أبو أبي سعيد الخدري[1]) .

٤٥ ـ سعيد بن سُويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر[2] .

٤٦ ـ عتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد .

٤٧ ـ ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة .

٤٨ ـ ثقف بن فروة بن البدي .

٤٩ ـ عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش .

٥٠ ـ ضمرة ، حليف لبني طريف ، رهط سعد بن عبادة .

٥١ ـ نوفل بن عبد الله .

٥٢ ـ عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .

٥٣ ـ نعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم .

٥٤ ـ المجذر بن ذياد البلوي .

٥٥ ـ عبادة بن الحساس .

---

(١) اسم أبي سعيد الخدري : سنان ، ويقال : سعد .

(٢) البَجَر : خروج السُّرَّة وغلظ أصلها ، قال ابن سيده : البُجْرة : السُّرَّة من الإنسان والبعير عظمت أو لم تعظم ، وبَجَرَ بَجْراً فهو أبْجَر إذا غلظ أصل سُرَّته ، وقيل : الأبجر : الذي خرجت سُرَّته ، لسان العرب ، جـ ٤ ص ٣٩ .

٥٦ ـ رفاعة بن عمرو .

٥٧ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام .

٥٨ ـ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .

٥٩ ـ خلاد بن عمرو بن الجموح .

٦٠ ـ أبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح .

٦١ ـ سليم بن عمرو بن حَديدة .

٦٢ ـ ومولاه « عنترة » .

٦٣ ـ سهل بن قيس بن أبي كعب بن القين .

٦٤ ـ ذكوان بن عبد قيس .

٦٥ ـ عبيد بن المعلى بن لوذان .

٦٦ ـ مالك بن نميلة المزني .

٦٧ ـ الحارث بن عدي بن خرشة بن أُمية بن عامر بن خطمة .

٦٨ ـ إياس الخزرجي ، من بني سواد بن مالك بن مالك .

٦٩ ـ إياس بن عدي ، من بني عمرو بن مالك بن النجار .

٧٠ ـ عمرو بن إياس ، من بني سالم بن عوف .

☆ أخبر عليه الصلاة والسلام عن شهداء أُحد أن من زارهم وسلَّم عليهم إلى يوم القيامة ردُّوا عليه السَّلام . وكان ﷺ يأتي قبورهم على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عُقْبى الدار .

☆ ☆ ☆

وَقُتِلَ مِنَ المشْرِكِينَ يومَ أحُدٍ :

١ ـ طلحة بن أبي طلحة .

٢ ـ أبو سعيد بن أبي طلحة .

٣ ـ عثمان بن أبي طلحة .

٤ ـ مسافع بن طلحة .

٥ ـ الجلاس بن طلحة .

٦ ـ كلاب بن طلحة .

٧ ـ الحارث بن طلحة .

٨ ـ أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف .

٩ ـ أبو زيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .

١٠ ـ صؤاب غلام أبي زيد بن عمير .

١١ ـ القاسط بن شُريح بن هاشم بن عبد مناف .

١٢ ـ عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد .

١٣ ـ أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .

١٤ ـ سباع بن عبد العزى .

١٥ ـ هشام بن أبي أُمية بن المغيرة .

١٦ ـ الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة .

١٧ ـ أبو أُمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .

١٨ ـ خالد بن الأعلم .

١٩ ـ عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح « أبو عزة الشاعر » .

٢٠ ـ أُبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

٢١ ـ عبيدة بن جابر .

٢٢ ـ شيبة بن مالك بن المضرّب .

اثنان وعشرون رجلاً ، وردت أسماؤهم في قتلى أُحد من المشركين .

☆ ☆ ☆

المحتوى

ح

☆ ☆ ☆

الصور والمصوَّرات

سلسلة

غزوات الرسول الأعظم

صلى الله عليه وسلم

الدكتور شوقي أبو خليل

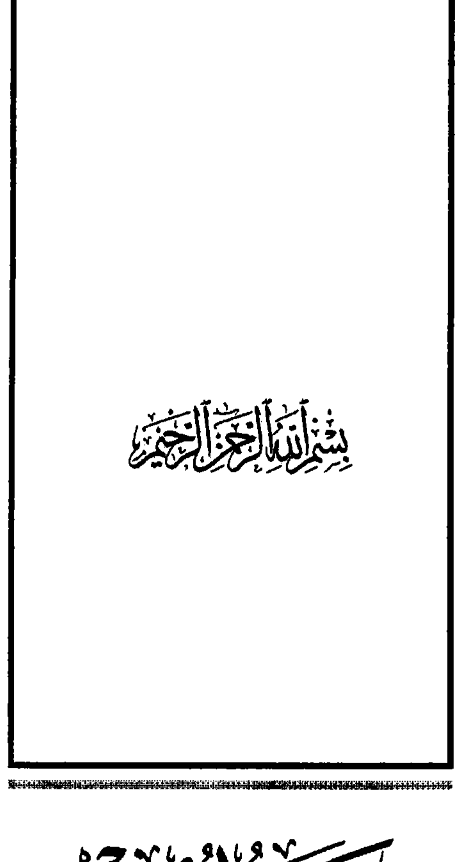


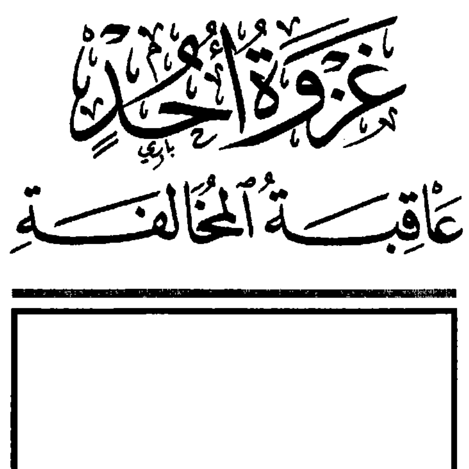


الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٤
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠٥٨٥,٠٣١
الرقم الدولي للسلسة: ISBN: 1-57547-102-7
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-104-3
الرقم الموضوعي: ٢٧٠
الموضوع: السيرة النبوية
السلسلة: غزوات الرسول الأعظم
العنوان: غزوة أحد
التأليف: الدكتور شوقي أبو خليل
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٤٤ ص
قياس الصفحة: ١٤×٢٠ سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

إعادة
١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
ط١: ١٩٨٢م


بسم الله الرحمن الرحيم


غزوة أحد
عاقبة المخالفة

غزوة أحـد : عـاقبـة المخـالفـة / شوقي أبو خليـل . ـ دمشق : دار الفكر ،
١٩٩٦ . ـ ١٤٤ ص :   ؛ ٢٠ سم.
١ ـــ ٩٥٦,٠٢   خ ل ي   غ   ٢ ـ ٢١٩,٥ خ ل ي   غ
٣ ـــ العنوان ٤ ـ أبو خليل

مكتبة الأسد

ع ـــ ٧٠٥ / ٦ / ١٩٩٦

مَا بَدَأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حرباً قطّ ،
إذ كان حريصاً ألا يُراق دم إنساني
فهو نبيُّ المرحمة .
ولكن إذا كانت لا محالة واقعة كان رَجُلَهَا
الأول . . فهو نبيُّ الملحمة .
لقد كان عظيماً في رحمته بالناس ،
عظيماً في استعداده للحرب ، عظيماً في
خططه ، عظيماً في تحقيق النّصر واستثماره .



بسم الله الرحمن الرحيم

تَصْدِيْرٌ

☆ ﴿ ولاتَهِنُـوا ولاتَحْـزَنُـوا وأنتمُ الأَعْلَـوْنَ إن كُنتُم مُـؤْمِنين ، إن يَمْسَـسْكُم قَرْحٌ فقـد مَسَّ القَـوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وتلكَ الأيامُ نُداوِلُها بينَ النَّـاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الـذينَ آمنوا ويتَّخِذَ منكم شُهَداءَ ، واللهُ لايُحِبُّ الظالمينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٣٩ / ١٤٠]

هُزِمت قريش ببدر ، فسـارت في شوال السنـة الثـالثـة للهجرة ، باتجاه المدينـة المنوَّرة تريـد ثـأرهـا ، فكانت غزوة أُحُـد ، وكان خطـأ الرماة الذي قرر مصير المعركة .

وفي حياة رسول الله ﷺ حدثان متميِّزان ، أُحُد ، وحُنين .

ففي أُحُد وقع خطأ في حربي مادي ، عندما خالف الرمـاة الأمر العسكري .

وفي حُنين وقع خطـأ أخلاقي معنوي تربـوي ، عنـدمـا قـال بعض المسلمين : « لن نُغْلبَ اليومَ عن قِلَّة » .

وإن كنا ندع الحديث عن حُنَين إلى حينه ، فإننا نقول : في أُحُد ماأخطأ رسول الله ﷺ ، بل أخطأ الرماة ، في اجتهاد خاطئ ، فَسبَّبُوا ماسبَّبوا ، تركوا النصَّ ، وهو أمر رسول الله ﷺ الذي لايحتمل التأويل ، إلى التحليل والتأويل ؛ فوقعوا في المخالفة .

ومع ذلك لم تحقق قريش ماأرادت ، على الرغم من الخطأ الفادح المُرْتكب ، والذي ساق إليها النصر ، وهي المهزومة المندحرة .

فإن أرادت ثأراً لقتلاها ببدر ، فقد حققت مطلباً .

وإن أرادت استعادة لهيبة أو سمعة مهدورة ، فقد حققت ذلك إلى أَجل .

ولكن إن أرادت الأمر الأهم الأعظم ، ألا وهو القضاء على المسلمين ، والقضاء على رسول الله ﷺ لتستطيع فتح طريق تجارتها إلى الشام ، فهذا مالم تستطع تحقيقه .

وفي غزوة أُحُد دفع المسلمون ثمن مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، كما كشفت أُحُد مدى استعدادات المسلمين المادية والروحية .

في أُحُد منع الله عز وجل النصر عن المسلمين ، كي لاتتعلَّق القلوب بغير الله ، فخطأ واحد مع كل الفضائل المجتمعة ، ماجال دون العقوبة والجزاء . فكانت أُحُد درساً مُؤَثِّراً ، عمَّق الإيمان ، مع خالص الحب

والطاعة لرسول الله ﷺ ، ففازوا بكامل الإيمان ، فجاء النصر الدائم المستمر ، حتى فتح الله عليهم مكة المكرمة .

أُحُد .. امتحان واختبار ، لاليعلم الله النتيجة ، فعلمه سبحانه سابق ، الامتحان والاختبار ليعلم المسلمون أنفسهم ، فكانت أُحُد ونتائجها عملية طهارة وتزكية ، وعودة إلى سلامة النفس ، وطهارة القلب .

اختبار أُحُد ليعرف المسلمون مراحل إيمانهم ، وإلى أَيَّة مرحلة وصلوا ، فمن آثر الآخرة على الدنيا ومغانمها ، ازداد إيماناً وعُلُوّاً ، ومن آثر الدنيا ومغانمها على الآخرة ، استدرك ، ولحق بعد أُحُد بمن آثر الآخرة على الدنيا .

وفي أُحُد كان بإمكان رسول الله ﷺ ، وبمدد إلهي ، أن يهزم قريشاً بحفنة تراب ، ولو فعل ، لَبَطُل الجهاد ، لقول من بعده ﷺ : ونحن بحاجة إلى حفنة تراب لنهزم الأعداء ، ولاوجود لتلك اليد التي ترمي هذه الحفنة ؛ إذن .. فلاجهاد ..

أُحُد .. لبنة في استكمال بناء الشخصيّة الإسلامية ، وتأكيد على أن الإسلام ـ مع الأحكام ـ عمل قلبي ، وتذوُّق وجداني ، وشعور روحي ، وطاعة تامة ، والتزام كامل لايقبل شائبة أو مخالفة .

وبعد المخالفة ، جاء العزاء من الله سبحانه ، مع عفوه ، للمسلمين ، فكان تضميداً للجراح ، وتبديلاً للنفوس من الوهن إلى القوة ، ومن اليأس إلى الأمل .. فانتقلوا إلى حمراء الأسد يحمل بعضهم بعضاً ، فكأنما أحياهم بعد موت ، وأوجدهم بعد عدم .

إلى حمراء الأسد كي لا يظن العدو أن المسلمين قد انهزموا نفسياً ، أو معنوياً ، أو قلبياً ... ومع أنهم لا يستطيعون المشي من كثرة جراحاتهم ، حملهم إيمانهم لا أبدانهم ، وحملهم يقينهم لا صحتهم وأجسامهم .

وبذلك الإيمان ، وبهذا اليقين ، ماقالوا : نحن جرحى ، فكيف المسير إلى حمراء الأسد بعد يوم واحد من غزوة أُحد !! وماوقع في نفوسهم عدم صلاحهم للقتال ، وقال ﷺ : « وأن لايخرجنَّ معنا أَحَدٌ إلا من حضر يومنا بالأمس » ، فرفض ﷺ بذلك الجنديَّ سليمَ الجَسدِ مريضَ القلب ، وقَبِلَ الجنديَّ جريحَ الجسد معافى الإيمان ، صحيحَ القلب ، فساروا وجراحاتهم في صدورهم وليست في ظهورهم ، واستجابوا بعد أن مسَّهم القرح .



وعلى الرغم مما جرى في غزوة أُحد ، تجلَّت عظمة رسول الله ﷺ فيها :

- في فَرْضه ميدان المعركة على قريش .

- وفي إحرازه النصر سريعاً قبل مخالفة الرماة .

- وفي فكّه الطوق الذي فُرِض على المسلمين ، والذي كان كافياً لإفناء جيش بكامله .

- وفي يأس قريش من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناؤهم أمراً ممكناً سهلاً ، يحقّقه جيش أقل عدداً من جيش قريش .

لقد كان رسول الله ﷺ قائداً فذّاً ، جنّب جُنْدَه الخطر المحقّق بمهارة وحنكة ، وأعاد لهم هيبتهم بعد يوم واحد فقط بمناورته الرائعة إلى حمراء الأسد ، فانسحب أبو سفيان ومن معه مكتفياً بصورة فوز ، وسمعة انتصار ، لن ينال مثلها مطلقاً ، وسيفتح الله على نبيّه ، وسيدخل مكة ، لاليذل قريشاً ، ولالكي يحطّم كبرياءها ، لا .. فبعد أُحُد استغفر لقريش قائلاً : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون » ، ولما أراد أبو قتادة الأنصاري التمثيل من قريش ، لما رأى من المُثْلة بالمسلمين ، قال ﷺ : « ياأبا قتادة إن قريشاً أهل أمانة ، من بغاهم العواثر أكبّه الله تعالى إلى فيه ، وعسى إن طالت بك مدّة أن تحقر عملك مع أعمالهم ، وفعالك مع فعالهم ، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله » .

صلى الله عليك ياسيدي يارسول الله ، لقد كنت رائعا في جهادك ، ورائعا في مجال التربية والأخلاق والمحبة ..

لقد انتصرتَ على التخلُّف فحل التقدم .

وانتصرتَ على الذل فحلت العزّة .

وانتصرتَ على الجهل فحل العلم .

وانتصرتَ على الشرك والأصنام فحلّ الإسلام والإيمان .

وانتصرتَ على القبلية والعصبية فحل التوحُّد والوئام والإخاء .

جئت ـ صلى الله عليك ـ فأطفأت عداوة العرب وعشائريتهم وشتاتهم ، وأضأت نور المحبة بين القلوب ، فقامت مجتمعة للهداية والتحرير .

اللهم اجزه عنا خير ماجزيت نبياً أدّى الأمانة ، وبلغ الرسالة .

وإلى أُحُد .. ومافيها من أحداث ، على بركة الله ، فهو من وراء القصد ..

☆ ☆ ☆

دمشق : ٧ / ٦ / ١٤٠٢ هـ
الموافق : ١ / ٤ / ١٩٨٢ م

شوقي أبو خليل
دمشق ـ سورية
ص . ب : ٦٢٢٢
Shawki@ Fikr.com

أسباب أحد

☆ ﴿ إِنَّ الذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُون أَمْـوالَهُم لِيَصُـدُّوا عَن سَبيـلِ اللهِ ، فَسَيُنفِقُـونَهَا ثُمَّ تكـونُ عليهم حَسْرَةً ثم يُغْلَبُـونَ ، والـذينَ كَفَروا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون ﴾ .

[الأنفال : ٣٦]

لما أُصيب من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع - بعد غزوة بدر - فَلَّهم[1] إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعير التجارة ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة[2] ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أُميَّة في رجال من قريش ممن أُصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلَّموا أبا سفيان ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . وكانت تلك العير موقوفة في دار الندوة لم تعط لأربابها[3] ، فقالوا : يامعشر قريش ، إن محمداً قد وتركم[4] ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على

---

(١) « فَلَّ » الجيشَ : هزمه ، فَلَّه فانفلَّ أي كسره فانكسر ، « مختار الصحاح ، ص ٥١٢ » .

(٢) الاكتفاء ، جـ ٢ ص ١٠٠ ، وفي ابن هشام : عبد بن أبي ربيعة ، جـ ٣ ص ١٤ ، وهو في الطبري « عبد الله » ، جـ ٢ ص ٥٠٠ .

(٣) الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٢ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٢٩ ، عيون الأَثر ، جـ ٢ ص ٢ .

(٤) وَتَرَهُ حقَّه يَتِره وِتْراً : نَقَصَه . « مختار الصحاح ، ص ٧٠٧ » .

حربه ، فعلّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا .

قال أصحاب التجارة : ونحن طيبو النفوس أن تجهزوا لذلك بربح المال . فَسُلِّم لهم رؤوس أموالهم ، وكانت خمسين ألف دينار ، وأخرجوا أرباحها ـ وكان الربح لكل دينار ديناراً ـ فأُخرج لتجهيز الجيش خمسون ألف دينار[1] . وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ كَفَروا يُنْفِقُونَ أَموالَهُم لِيَصدُّوا عن سَبيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثم تكونُ عليهم حَسْرَةً ، ثم يُغْلَبون ، والذين كفروا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون ﴾[2] .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحابيشها[3] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجمحي قد مَنَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن عليَّ صلى الله عليك وسلم ؛

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٢٩ ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٤ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٣٦ .

(٣) الأحابيش : الجماعة أياً كانوا ، أو هم أحابيش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً . « الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٠ ، هامش الصفحة » .

فمنَّ عليه رسول الله ﷺ . فقال له صفوان بن أُميـة : يـاأبـا عزّة إنـك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد مَنَّ عليَّ فلاأُريد أن أُظاهر عليه ، قال : بلى ، فأعنا بنفسك ، فلـك الله عليَّ إن رجعت أن أُغنيك ، وإن أُصبت أن أجعل بناتـك مع بنـاتي ، يصيبهن ماأصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزّة في تِهَامة ، ويدعو بني كنانة ويقول :

إيهـا بني عبـد منـاة الرزَّام[1] أنتم حمـاة وأبـوكم حـام
لاتعـدوني نصركم بعـد العـام لاتسلمـوني لايحـل إسـلام[2]

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حـذافـة الجمحي إلى بني مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، فقال :

يـامـال[3] ، مـال الحسب المقـدم أنشـد ذا القربى وذا التـذمم
مَن كان ذا رُحم ومن لم يرحم الحلف وسـط البلـد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم[4]

---

(١) الرزام : من يثبتون في مكانهم لايبرحونه ، أي أنهم ثـابتون في الحرب ، وفي البـدايـة والنهـايـة ، جـ ٤ ص ١٠ « أيا بني عبد مناة » .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ١٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٠ .

(٣) يامال : أراد يامالك فرخّمه ، وذو التذمم : الذي له ذمام ، والذمام العهد .

(٤) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١١ .

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلّما يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق . لأن حمزة هو قاتل طعيمة في بدر ، « وقيل : إن وحشياً كان غلاماً لطعيمة وإن ابنة سيده طعيمة قالت : إن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فإني لاأدري في القوم كفؤاً له غيرهم فأنت عتيق »[1] .

وفي بدر قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ترثيهم ، وبلغها تسويم[2] الخنساء هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سوَّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أُصيبت هند بما أُصيبت به ، وبلغها ذلك قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ[3] . فقالت : أقرنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٢٩ . الاكتفاء ، جـ ٢ ص ١٠٠ .

(٢) الخيل المُسَوَّمة : الخيل المُعَلَّمة ، « مختار الصحاح ، ص ٣٢٢ » .

(٣) عُكَاظُ : اسم سوق للعرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة ، فيقيمون شهراً يتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون .

ياأُخيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فيمَ تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : بأبي عمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو . وبِمَ تعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة وأخي الوليد ، قالت الخنساء : أو سواءهم عندك ، ثم أنشدت تقول :

أبكي أَبي عَمْراً بعين غـزيرة ... قليل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي لاأنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها
وصخراً ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بسلهبه الأبطال قبا يقودها[1]
فذلك ياهند الرزية[2] فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها :

أَبكي عميد الأبطحين كليهما[3] ... وحاميهما من كل باغ يريدها
أَبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها[4]

وخرجت قريش بكل طاقاتها ، ومعها أحابيشها ومن تابعها من

---

(١) السلهب : الطويل من الرجال ، « لسان العرب ، جـ ١ ص ٤٧٤ » .

(٢) الرَّزِيَّة : المصيبة ، « مختار الصحاح ، ص ٢٤٠ » .

(٣) الأبطح والبطحاء : الرمل المنبسط على وجه الأرض ، أو كل مسيل فيه دُقاقُ الحصى فهو أبطح ، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، « معجم البلدان ، جـ ١ ص ٧٤ » .

(٤) أعلام النساء ، جـ ٥ ص ٢٤٣ .

بني كنانـة وأهل تِهَـامـة ، وخرجت معهم النسـاء التماس الحفيظـة ، وألا يفرّوا ، فخرج أبـو سفيـان بن حرب ـ وهـو قـائـد النـاس ـ بهنـد بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأُم حكيم بنت الحارث بن هشـام بن المغيرة ، وخرج الحـارث بن هشـام بن المغيرة بفـاطمـة بنت الوليـد بن المغيرة ، وخرج صفـوان بن أُميـة ببَرْزَة بنت مسعـود بن عمر بن عمير الثقفية وهي أُم عبد الله بن صفوان بن أُميـة . وخرج عمرو بن العـاص برَيْطـة بنت منبـه بن الحجـاج وهي أُم عبـد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافـة بنت سعـد بن شهيـد الأنصـاريـة ، وهي أُم بني طلحـة : مُسَافع والجُلاس وكلاب ، قتلوا يومئذ هم وأبوهم . وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير ، وهي أُم مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة[1] .

وكانت هنـد بنت عتبـة كلمـا مرَّت بـوحشي أو مر بهـا قـالت : « وَيْها[2] أبا دَسْمَة ، أشفِ واستشف » .

---

(1) ابن هشـام ، جـ ٣ ص ١٦ ، السيرة النبـويـة والآثـار المحمـديـة ، جـ ٢ ص ٢٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠١ .

(2) في الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٢ « إيـه » ، وهي كلمة تقـال للتحضيض . وكان وحشي يكنى بـأبي دَسْمَـة . الاكتفـاء ، جـ ٢ ص ١٠٠ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٢ ، والروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٣ .

وأقبلت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، مع الأحابيش ، وفيهم مائتا فرس[1] ، وثلاثة آلاف بعير ، وسبعمائة دارع ، حتى نزلوا بعَيْنين ، بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي ، مقابل المدينة ، عند أُحُد .



أُحُد

سمي بهذا الاسم لتوحُّده وانقطاعه عن جبال أُخر هنالك ، وقال فيه الرسول ﷺ : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، إذا مررتم به فكلوا من شجره ، ولو من عضاهه[2] » ، أي نحب أهله ، وهم الأنصار في رأي ، وفي رأي آخر أنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل المحب ، وقيل : بل نحبه حقيقة ، وُضِعَ الحبُّ فيه كما وضع التسبيح في الجبال المسبّحة مع داود ، وكما وضعت الخشية في الحجارة ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾[3] .

---

(١) في البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٢ مع قريش مائة فرس . والثابت مائتا فرس كما في المراجع الأخرى .

(٢) العضاه : كل شجرة كبيرة عظيمة لها شوك ، والقصد الحث على عدم إهمال الأكل من شجره تبرُّكاً به .

(٣) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٧٢ .

وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ، ولأحسن من اسم مشتق من الأَحَدِيَّة ، وقد سُمِّي الجبل بهذا الاسم ، تقدمة ـ لما أراده سبحانه ـ من مشاكلة اسمه ومعناه ، إذ أَهله وهم الأنصار نصروا التوحيد ، والمبعوث بدين التوحيد ، عنده استقر حياً وميتاً ، وكان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يستعمل الوتر ويحبُّه في شأنه كله استشعاراً للأحدية ، فقد وافق اسم هذا الجبل أغراضه عليه السلام ومقاصده في الأسماء ، فقد بدَّل كثيراً من الأسماء استقباحاً لها من أسماء البقاع وأسماء الناس ، وذلك لايحصى كثرة ، فاسم هذا الجبل من أوفق الأسماء له ، لأنه مشتق من الأحديَّة[1] .

وأُحد على بعد ميل أو ثلاثة أميال من المدينة[2] .

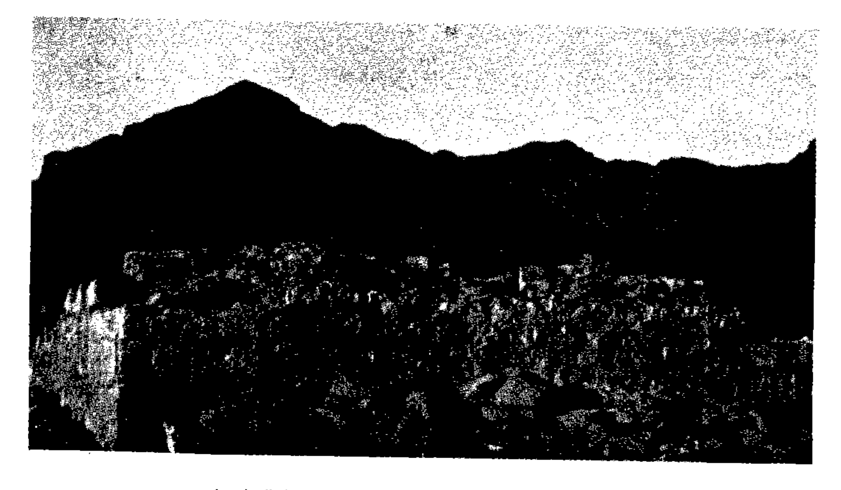
☆ ☆ ☆

---

(١) الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٥٨ و١٥٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٨٨ .

جبـــل الرماة



صورة توضح مكان انسحاب المسلمين بعد مخالفة الرماة

حيث التفوا حول رسول الله ﷺ يفدونه بحياتهم

الموقف في المدينة المنوّرة

☆ ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فما وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم في سَبِيلِ اللهِ وماضَعُفُوا ومااستكانُوا واللهُ يُحِبُّ الصَّابرين ﴾ .

[آل عمران : ١٤٦]

بلغ رسول الله ﷺ أمر قريش ونزولها قرب أُحُد ، وذلك من رسالة أرسلها العباس[١] مع رجل استأجره من بني غفار ، وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ، ففعل كذلك . فلما جاءه ﷺ الكتاب فكّ ختمه ، ودفعه لأُبي بن كعب فقرأه عليه ، واستكتم النبي ﷺ أبيّاً ، ونزل على سعد بن الربيع[٢] فأخبره بكتاب العباس واستكتمه أيضاً ، فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ، قالت له امرأته : ماقال لك رسول الله ﷺ ؟ .

فقال سعد بن الربيع : لاأُمّ لك ، ومأأنت وذاك ؟!

فقالت : قد سمعت ماقال ، وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ ،

(١) العباس عم النبي ﷺ مسلم يكتم ويخفي إسلامه في مكة ، فكان عيناً على المشركين ، يبعث بأخبارهم من مكة للنبي ﷺ ، ولولا رسالة العباس لأطبق المشركون على المدينة في غفلة من أهلها .

(٢) سعد بن الربيع ، شهد العقبة الأولى والثانية ، كان نقيب بني الحارث بن الخزرج ، هو وعبد الله بن رواحة ، استشهد يوم أحد ، « أسد الغابة ، جـ ٢ ص ٣٤٨ » .

فاسترجع ، وأخذ بيدها ولحق برسول الله ﷺ فأخبره خبرها ، وقال : يارسول الله إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني إياه . فقال له ﷺ : خَلِّ عنها[1] . وهنا تتجلى أمانة سعد لسرِّ رسول الله ﷺ ، وحرصه على ألاّ تتغيَّر ثقة رسول الله ﷺ به ونظرته إليه ، إذا ذاع الخبر .

وقال رسول الله ﷺ لكبار الصحابة : « إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً لي تذبح ، ورأيت في ذباب[2] سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، وأني مردف كبشاً »[3] .

وقال ﷺ : « فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقْتَلُون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي ، فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأما الكبش فإني أَقْتُلُ كبش القوم[4] . وأوَّل ﷺ الدرع الحصينة بالمدينة المنوَّرة » .

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) ذباب السيف : حدُّ طرفه الذي بين شفرتيه ، « لسان العرب ، جـ ١ ص ٣٨٣ » .

(٣) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٠ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ١٦ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢١ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٣ .

(٤) وفي رواية : « وأوَّلت الكبش بأني أقتل صاحب الكتيبة » ، وقد صدق الله رؤياه ، فكان الرجل الذي هو من أهل بيته حمزة سيد الشهداء ، وقُتِل طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين ، فهو صاحب الكتيبة ، وكبش القوم : سيّدهم . « السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٥ » .

ثم قال ﷺ : « فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » .

وكان رأي عبد الله بن أُبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى رأيه في ذلك ، وألاَّ يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدراً : يارسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنّا عنهم وضعفنا ، فيكون ذلك جراءة منهم علينا ، والله لانطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا ، وفي لفظ ، قالت الأنصار : يارسول الله ماغلبنا عدو لنا أتانا في دارنا ـ أي في ناحية من نواحيها ـ فكيف وأنت فينا ؟! ووافقهم على ذلك حمزة رضي الله عنه(١) . فقال عبد الله بن أُبي بن سلول(٢) : يارسول الله ، أقِم بالمدينة لاتخرج إليهم ، فوالله ماخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلاّ أصاب منا ، ولادخلها علينا إلاّ أصبنا منه . فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ،

---

(١) ومما قاله حمزة : « والذي أنزل عليك الكتاب لأطعم طعاماً حتى أُجالدهم بسيفي خارج المدينة » ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣١ .

(٢) دعاه رسول الله ﷺ ـ ولم يدعه قط قبلها ـ فاستشاره ، وفي الطبري (٢ / ٥٠٣) قال ابن أُبي بن سلول : اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلُب ، وهذا لايناسب ماسيأتي عند رجوعه ، وقوله : خالفني ، أطاعهم وعصاني .

ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا .

وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقّة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاري ، فقال : يارسول الله لاتحرمني الجنة ، فوالذي بعثك بالحق لأدخلنّ الجنّة ، فقال له : بِمَ ؟ قال : بأني أشهدُ أن لاإله إلا الله وأنّك رسول الله ، وأني لاأفِرُّ من الزحف ، قال ﷺ : صدقت ، فقتل يومئذ[1] .

ولم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل ﷺ بيته ، فلبس لأمَتَه[2] ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم أن لهم النصرة ماصبروا ، وأمرهم بالتهيُّؤ لعدوهم ، ففرح الناس في بادئ الأمر ، ولكن سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير قالا : استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج ، ولم يكن لنا ذلك ، فردّوا الأمر إليه ، ويلاحظ أن عامة مَنْ أشار عليه ﷺ بالخروج ، رجال لم يشهدوا بدراً ، وقد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضل والخير والمكانة . فقالوا : يارسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٣ .

(٢) لأُمَته : درعه ، وقد يسمى السلاح كله لأمة .

الله عليك[1] . فقال رسول الله ﷺ : « ماينبغي لنبي إذا لبس لأْمَتَه أن يضعها حتى يقاتل » ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه ، واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم على الصلاة بالناس ، منهم مائة دارع ، مع فرس لرسول الله ﷺ اسمه « السكب » ، وفرس لأبي بردة . وعقد ﷺ لواء الأوس وجعله بيد أُسيد بن حضير ، ولواء للخزرج وجعله بيد الحُباب بْن المنذر « أو سعد بن عبادة » ، ولواء للمهاجرين جعله مع علي بن أبي طالب ، ثم دفعه إلى مصعب بن عمير[2] كما سنرى .

☆ ☆ ☆

انخذال المنافقين

وفي منتصف المسافة بين المدينة وأُحد ، انخذل عن النبي ﷺ عبدُ الله بن أُبي بن سلول بثلث الجيش ، وجعل تبريراً لخيانته فقال :

---

(١) جاء في السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٥ : « قالوا : يارسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : ماينبغي لنبيّ إذا أخذ لأْمَة الحرب ، وأذّن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا » .

(٢) جاء في تاريخ خليفة بن خياط العصفري ، جـ ١ ص ٢٩ : الراية مرط أسود من مراجل كان لعائشة ، وراية الأنصار يقال لها العُقاب . ولحملة الرايات ، راجع السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٢ . وقال ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٤ : « وكان مع المسلمين خمسون فارساً » .؟!! ولم يورد ذلك غيره ، وهذا خطأ .

أطاعهم وعصاني ، ماندري عَلاَمَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها النـاس ، فرجع بمن اتبعه من قـومـه من أهـل النفـاق والريب ، واتبعهم عبــد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمـة ، وهـو في الخـزرج كعبـد الله بن أُبي بن سلول ، يقول : ياقوم ، أُذكركم اللهَ ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندمـا حضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لانرى أنـه يكون قتـال ، ولمـا استعصوا عليـه ، وأبـوا إلا الانصراف عنهم ، قـال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيَّه[1] .

لقد كان رأي عبد الله بن أُبي بن سلول أن لايخرج ، فظاهر القول سليم ، ولكن باطنه : لايريد القتـال ، بـدليل تراجعـه بثلث الجيش ، وهذا الانسحاب قبيل المعركة ، يضعف معنويات المقاتلين .

وموقف عبـد الله بن أُبي بن سلول يتضـح سببـه الحقيقي في قـول سعد : ارفق به يارسول الله ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم لـه الخرز لنتوِّجه .

وقال الأنصار يوم أُحد لرسول الله ﷺ : يـارسول الله ألا نستعين بحلفائنا من اليهود ؟ فقال : لاحـاجـة لنـا فيهم ، وهـذا أمر طبيعي ، فشعورهم كما مرّ معنا بعد غزوة بدر الكبرى كان مع قريش .

(١) البداية والنهايـة ، جـ ٤ ص ٩ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٤ ، والسيرة النبويـة ، جـ ٢ ص ١٧ ، والكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٢ .

ومضى ﷺ حتى سلك في حرّة[1] بني حارثة ، فذب فرسه بذنبه ، فأصاب كُلاّب سيف[2] فاستله ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف[3] لصاحب السيف : شم سيفك[4] ، فإني أرى السيوف ستسل اليوم[5] .

☆ ☆ ☆

مربعٌ المنافق

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب[6] ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك في مال لمربع بن قيظي الحارثي ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله

---

(١) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة ، وأكثر هذه الحَرَّات توجد حول المدينة المنوَّرة ، وتسمَّى مضافةً إلى أماكنها .

(٢) كُلاَّب السيف : هي الحديدة العقفاء ، وهي التي تلي الغمد ، وقيل : مسمار في قائم السيف ، « الروض الأُنف » .

(٣) اعتاف : تَطَيَّر .

(٤) شم سيفك : اغمده .

(٥) الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ١٨ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٢٨ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٤ .

(٦) أي من قرب .

فإني لا أُحلّ لك أن تدخل حائطي[1] ، وأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أُصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر[2] . وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ عنه ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه .

وغضب له ناس من بني حارثة ، كانوا على مثل رأيه ، أي منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أُبي بن سلول ، فهمَّ بهم أُسيد بن حضير حتى أومأ إليه رسول الله ﷺ بترك ذلك .

وهنا نقول :

إن قاعدة فقهية تقول : درء المفاسد أَوْلى من جلب المنافع .

إذا وُجِدَ ضرر عام سيحل في الأُمة كلها ، وهو هنا خطر العدو المهاجم للمدينة المنوّرة ، فإن فوات بعض المصلحة من فرد واحد ، أو أكثر ، يقدَّم عليها الصالح العام على الصالح الخاص .

---

(١) الحائط : واحد الحيطان وحوَّط كَرْمه تحويطاً : بنى حوله حائطاً فهو كَرْم مُحَوَّط . مختار الصحاح ، ص ١٦٢ ، والمراد هنا : بستانه أو كَرْمه .

(٢) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠١ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٠٦ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٤ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ١٧ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٨ .

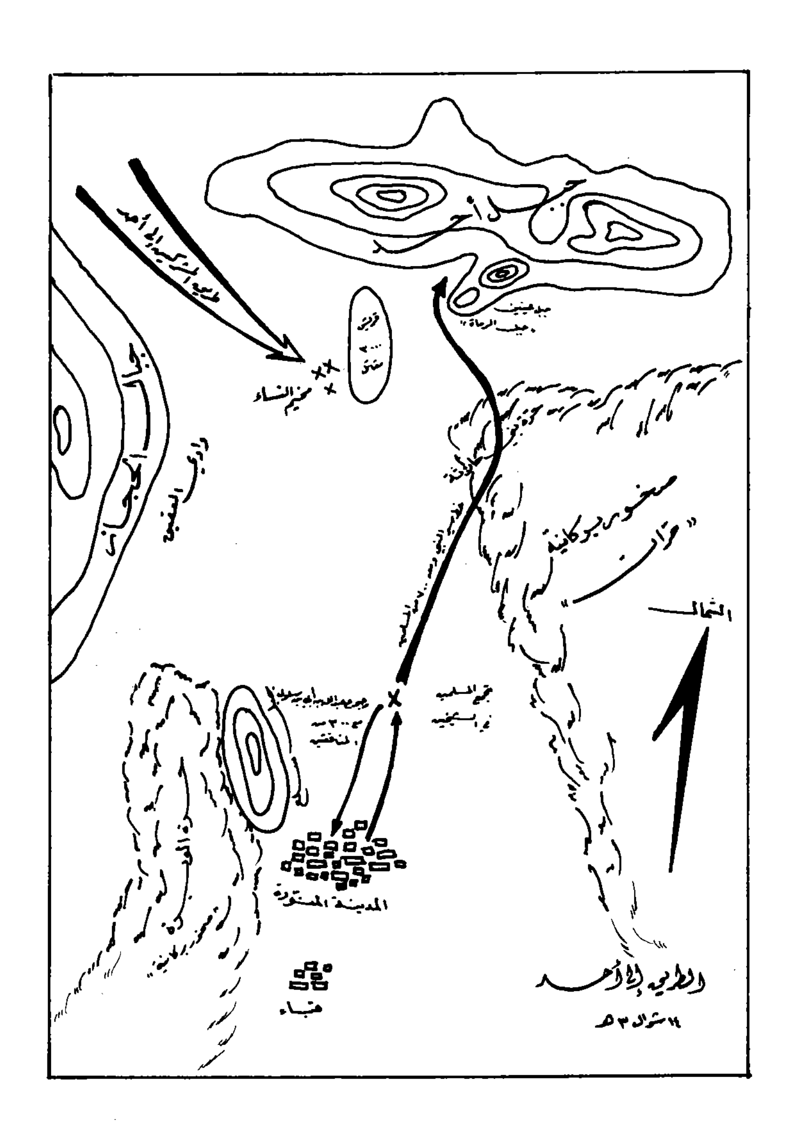
لقد حقّق ﷺ بعبوره السريع باتجاه أُحُد عبر حائط مربع المنافق أهدافاً هامة :

١ ـ لم تر قريش عدد قواته ، فلو مرّ بهم عن قرب ، لعرفوا إمكانات المسلمين ، وكشفوا قلة عددهم .. وبصورة عامة ، لعرفت قريش ما لا يجب أن يعرفوا .

٢ ـ حقّق رسول الله ﷺ الوصول من أقرب طريق ، فوصل المسلمون إلى أُحُد في غاية السرعة ، مع تمام الراحة الجسمية أيضاً .

٣ ـ وكَسْبُ الزمن شيء هام عظيم في الحروب ، لقد وصل ﷺ ليضع خطته الحربية حسب طبيعة الأرض ، مع أخذ المكان المناسب التحصين ، والذي يتلاءم مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم .

والنبي ﷺ لما مرَّ ومن معه في أرض مربع بن قيظي المنافق ، لم يخرِّبوا شيئاً ، ولم يخسر ابن قيظي من أرضه أو ثمره شيئاً ، مما يدل على نفاقه وحبه تأخير المسلمين ، وسلوكهم طريقاً طويلاً ، مما يضيع على المسلمين الفرصة والزمن ، فيتحقَّق ما يريده المنافقون ، انهزام المسلمين وانكسارهم ، وسيظهرون شماتتهم ـ في المدينة وما حولها ـ بعد أُحد .



جبل أحد
جبل الرماة
قريش ٣٠٠٠ مقاتل
مخيم النساء
وادي العقيق
جبال الجماء
صخور بركانية حرّات
الشمال
المدينة المنورة
قباء
الطريق إلى أحد

المسلمون بأحد

☆ « إنّا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، اللهم إني أُشهدك عليهم » .
« محمد رسول الله » .

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِّعْبَ من أُحُد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد ، واستقبل المدينة ، وأجاز ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقيل : يا رسول الله ، إنّ رافعاً رامٍ فأجازه ، فلما أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً ، فأجازه .

ورد ﷺ أُسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأُسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس بن قيظي ، وهو الذي يقول فيه الشماخ :

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رُفعت لمجد ... تلقّاها عرابة باليمين[1]

ومن المستصغرين يوم أُحد سعد بن حبتة[2] ، ردّه رسول الله ﷺ

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٥ .

(٢) سعد بن حبته عُرف بأمه ، وهي حبته بنت مالك الأنصارية ، وهو : سعد بن بجير .

لصغر سِنّه ، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالاً شديداً ، فدعاه ومسح على رأسه ، ودعا له بالبركة في ولده ونسله : فكان عماً لأربعين ، وخالاً لأربعين ، وأباً لعشرين ، ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، وقاضي قضاة هارون الرشيد .

فما فرغ ﷺ من استعراض جنده ، إلا وقد غابت الشمس ، فأذَّن بلال بالمغرب ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم أذّن بالعشاء فصلى بهم ، وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر ، ونام رسول الله ﷺ وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه .

وفي صباح السبت ١٥ من شوال سنة ٣ للهجرة ، أذّن بلال للصبح ، وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صفوفاً ، وخطب خطبة حثّهم فيها على الجهاد ، وقال : لا يقاتلن أحَدٌ منكم حتى نأمره بالقتال ، وسَرَّحت قريش الظهر والكراع[1] في زروع كانت بالصَّمْغة[2] من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروع بني قيلة[3] ولما نضارب ؟! وهذا يحدث في

---

(١) الظهر : الإبل ، والكراع : الخيل .

(٢) الصَّمغة : مكان قرب أحد .

(٣) قيلة : أم الأوس والخزرج ، وينسبون إليها .

بعض المواقف بين القائد وجنده ، منهم من ينطق به ، ومنهم من يبقيه يجول في خاطره ، ويثبت الزمن والمستقبل ، بعد نظر القائد ، ونظرته الشاملة ، وقصر نظر الجندي الذي لم يطَّلع على أبعاد خطة القائد وعلى كل جوانبها وأهدافها ، فنظرة القائد أعمق وأشمل وأعمّ ، وبخاصة هنا وأنه رسول الله !! وأنه ﷺ لم يعبّئ جنده حسب طبيعة الموقع ، ولم يتواجد الجند على ميدان المعركة حسب الخطة التي أعدها ، فكيف يقاتل والحالة هذه ، ولو رعت الأنعام الزروع ؟!!

وتعبّى رسول الله ﷺ للقتال ، وهو في سبعمائة رجل على التشكيل التالي :

- على الميمنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

- وعلى الميسرة المقداد بن عمرو الساعدي رضي الله عنه .

- وعلى القلب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

- وجعل الزبير بن العوام على رجال قبالة خالد بن الوليد ، وقال له : « كن بإزائه » .

- وعلى الرُّماة عبد الله بن جبير أخو بني عمرو بن عوف وهو مُعَلَّم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً[1] ، وقال ﷺ :

---

(١) الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٩ ، البداية =

انضح[1] الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينـا ، فاثبت مكانك لا نُؤتين من قِبَلِك ، الزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، فـإذا رأيتمـونـا نهـزمهم حتى نـدخـل في عسكرهم فـلا تفـارقـوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقْتَل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا ، وارشقوهم بالنبل فـإن الخيل لا تقـدم على النبـل ، إنّـا لن نـزال غـالبين مـا ثبتم مكانكم ، اللهم إني أُشهـدك عليهم ، احموا ظهـورنـا لا يـأتـونـا من خلفنـا ، إن رأيتمـونـا تخطفنـا الطير فـلا تبرحـوا من مكانكم هـذا حتى أُرسـل إليكم ، وإن رأيتمونـا هَزَمْنـا القوم وأوطـأنـاهم[2] فـلا تبرحـوا حتى أُرسـل إليكم ، إن رأيتمونـا نقتل فلا تنصرونـا ، وإن رأيتمونـا قـد غنمنـا فلا تشركـونـا ، اللهم إني أُشهدك عليهم[3] .

☆ ☆ ☆

والنهـايـة ، جـ ٤ ص ١٤ ، ابن هشـام ، جـ ٣ ص ١٨ . وتمركـز الرمـاة في جبـل عينين ، المسمَّى بجبل الرمـاة اليوم ، ويقع جنوب غرب معسكر المسلمين ، على ضفـة الوادي الجنوبيـة ، على بعـد مائة وخمسين متراً عن مقر القيادة .

(١) انضح : ادفع .

(٢) أوطأناهم : مشينا عليهم وهم قتلى .

(٣) تـاريخ خليفـة بن خيـاط العصفري ، جـ ١ ص ٢٩ ، والكامـل في التـاريـخ ، جـ ٢ ص ١٠٥ ، والسيرة النبويـة لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٩ ، والبـدايـة والنهـايـة ، جـ ٤ ص ١٤ ، وابن هشـام ، جـ ٢ ص ١٨ ، والسيرة النبـويـة والآثـار المحمـديـة ، جـ ٢ ص ٢٥ ، والسيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ٢٣٥ .

وتعبّأت قريش بقيادة أبي سفيان وهم ثلاثة آلاف رجل ، وسبعمائة درع ، ومئتا فرس قد جنبوها[1] ، وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أُمية ، أو عمرو بن العاص .

ومن الملاحظ قبيل معركة أُحُد ، أن رسول الله ﷺ قبيل بدر أكَّد النصر ، وقرَّر النتيجة قبل وقوعها :

١ ـ « سيروا على بركة الله وأبشروا فإنَّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين »[2] ، والقافلة وصلت مكة ، فلم يبقَ إلا النصر في المعركة .

٢ ـ « والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم ، هذا مصرع فلان »[3] ، يضع يده على الأرض ههنا ، وههنا ، فما أناط أحدهم عن موضع يده الشريفة ﷺ .

٣ ـ ولما أشار سعد بن معاذ رضي الله عنه ببناء العريش ، وأعدَّ الركائب ليعود الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، إن لم يتحقَّق النصر ، قال رسول الله : « أو يقضي الله لك خيراً من ذلك يا سعد »[4] ، أي النصر والظهور على قريش .

---

(١) أي جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٨ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٤٢٤ ، والبداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٢ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤١ .

(٤) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ١ ص ٤٣٤ .

٤ً ـ وفي العريش ، قال رسول الله ﷺ : « اللهم فنصرك الذي وعدتني » ، حتى أنه ﷺ طلب من الله بعض رؤوس الكفر بأسمائهم : « اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأُمة ، وزمعة بن الأَسود .. » .

بينما كان رسول الله ﷺ قبل أُحد يحذِّر :

١ً ـ رؤيا رسول الله ﷺ في المدينة :

أ ـ رأيت بقراً لي يذبَّح ، فهي ناس من أصحابي يقتلون .

ب ـ رأيت في ذباب سيفي ثلماً ، فهو رجل من أهل بيتي يُقْتَل .

جـ ـ ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأوَّلتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ...

٢ً ـ وفي الطريق إلى أُحد : « شم سيفك فإني أرى السيوف ستسل اليوم » .

٣ً ـ وحذَّر ﷺ أمير الرماة ومن معه ، من أَمر كأنه يراه :

أ ـ « لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قِبَلِك » .

ب ـ « لا تبرحوا .. فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقْتَل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا » .

جـ ـ « إنا لن نزال غـالبين مـا مكثتم ـ أو مـا ثبتم ـ مكانكم .. إن رأيتمـونـا تخطفنـا الطير فـلا تبرحـوا من مكانكم هـذا حتى أُرسـل إليكم .. إن رأيتمونـا نُقْتَل فلا تنصرونـا ، وإن رأيتمونـا قـد غنمنـا فلا تشركونا ، اللهم إني أُشهدك عليهم » .

فقبل أُحد ، كان النبي ﷺ يحذِّر من أَمر كأنه يلوح بين ناظريه ، يحذِّر من المخالفة ، وسنرى عاقبتها !!

سؤال يعرض لنا قبل البدء بأحداث أُحد :

لماذا لم يختر أبو سفيان ، وبالتالي قريش ، الموقع الاستراتيجي من أرض المعركة ، على الرغم من وصولهم إلى موقع أُحد قبل المسلمين ؟!

إجابة من الإجابات الخمس التالية كافية جواباً لهـذا السؤال ، وقـد تكون مجتمعة الجواب الكامل :

١ً ـ ضيق الأُفق العسكري عند أبي سفيـان وقريش ، فـالعرب في الجـاهليـة ، لم يخوضـوا معـارك كبيرة منظَّمـة ، فيهـا خطـط حربيـة مدروسة .

٢ً ـ ولعل قريشاً ما أرادت حصر نفسهـا في مسـاحـة قليلـة صغيرة ضيِّقة ، وهم ثلاثة آلاف مع خيلهم وإبلهم ونسائهم .

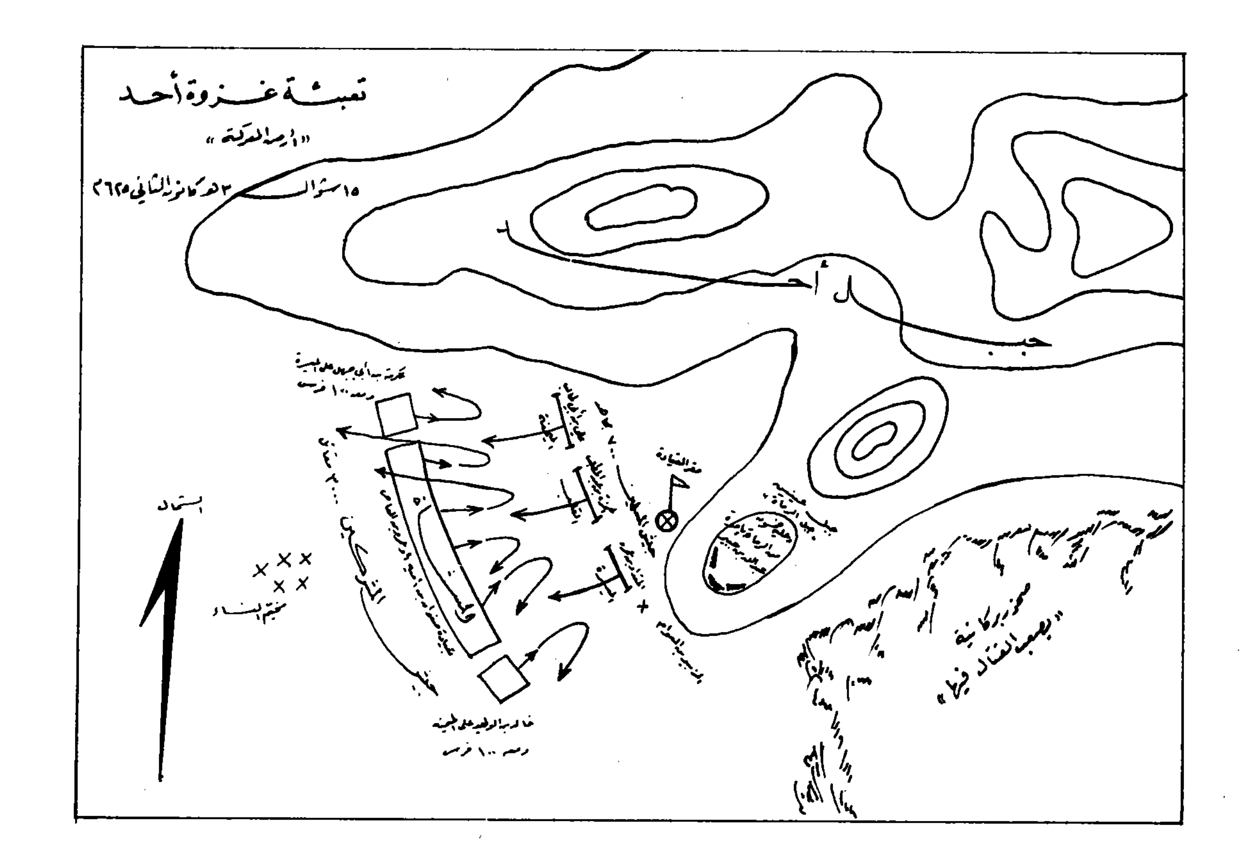
٣ً ـ ولعل القرشيين لم يقدِّروا سير الأحداث القادمة ، ولا أين من

الممكن أن يتمركـز رسـول الله ﷺ ، ومـا ظنـوا أنـه لن يمرَّ عليهم ليتجـاوزهم إلى شِعْبٍ معين ، فيجعل ظهره إلى الجبل ، ووجهـه قُبَـالـة المدينة المنورة .

٤ ـ ولعلهم فكَّروا بالفرار عند الحاجة ، بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة المنكرة ببدر ، فهم في منبسط من الأرضَ متصل بطريق القوافل العـام الموصل إلى مكة .

٥ ـ لقـد فرض رسـول الله ﷺ مـوقـع المعركـة وميـدانهـا على القرشيين ، فـاختـار المكان الأنسب الـذي يـلائم قلـة عـدد جنـده ، ممـا يعطيـه الفعـاليـة ، ويشـل حركـة جيش المشركين ، وبخـاصـة فرسانهم ، وتمَّ له ﷺ ذلك كما أراده .




تعبئة غزوة أحد
«أرض المعركة»
١٥ شوال ٣هـ كانون الثاني ٦٢٥م
جبل أحد
الشمال
مخيم النساء
المشركين ٣٠٠٠ مقاتل
عكرمة بن أبي جهل على الميسرة
ومعه ١٠٠ فرس
خالد بن الوليد على الميمنة
ومعه ١٠٠ فرس
مقر القيادة
جيش المسلمين ٧٠٠ م
جبل الرماة
صخور بركانية
«يصعب القتال فيها»

غزوة أُحـد

السبت ١٥ من شوال ٣هـ

☆ ﴿ ولقد صَدَقكُمُ اللهُ وعدَهُ إذ تَحُسُّونَهُم بإذنِهِ حتى إذا فَشِلْتُم وتنازعتُم في الأَمرِ وَعَصَيتُم مِنْ بعدِ ماأراكُم ماتُحِبُّون ، منكم مَنْ يُريدُ الدنيا ومنكم مَنْ يُريدُ الآخرةَ ، ثُمَّ صَرَفَكُم عنهم لِيَبْتَلِيكُم ، ولقد عَفَا عنكم ، واللهُ ذُو فَضْلٍ على المؤمنين ﴾ .

[آل عمران : ١٥٢]

أَبودجَانة سَماك بن خَرَشة :

أخرج رسول الله ﷺ سيفاً ، جاء في السيرة الحلبية[١] ، « وكان مكتوباً في إحدى صفحتيه :

في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لاينجو من القدر »

وقال ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، ومن جملتهم علي رضي الله عنه ، قام ليأخذه ، فقال : اجلس ، وعمر رضي الله عنه ، فأعرض عنه ، والزبير رضي الله عنه

---

(١) جـ ٢ ص ٢٣٥ .

طلبه ثلاث مرات ، ورسول الله ﷺ يعرض عنه ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة ، فقال : وماحقّه يارسول الله ؟

قال ﷺ : أن تضرب به العدو حتى ينحني .

فقال أبو دجانة : أنا آخذه يارسول الله بحقّه ، فأعطاه إياهُ .

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال[1] عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أراد القتال ، يُخْرج عصابة حمراء ، يُعَلِّم بها عند الحرب يعتصب بها ، فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصَّفين ، فقال ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : إنها لَمِشْية يَبْغضها الله إلا في مثل هذا الموطن[2] .

☆ ☆ ☆

أبو عامر الفاسق :

عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، من الأَوس ، وكان عبد الله بن أُبي بن سلول من الخزرج ، وهما من رؤوس أهل المدينة ،

---

(١) أي يمشي مشية المتكبّر .

(٢) لأن فيها عدم الاكتراث بالعدو . الطبري ، جـ ٢ ص ٥١١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٠ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٥ . وإعطاء السيف لأبي دجانة لايعني أنه أفضل من علي وعمر والزبير ، ولكنها خصوصية لأَبي دجانة ، لإظهار شأن الأنصار وفضلهم ، وحب رسول الله ﷺ لهم ، وهم أهل لهذا الحب ، ولتقدير رسول الله .

وعظمائها المتوجهين للرياسة على أهلها ، فعبد الله بن أُبي أظهر الإسلام نفاقاً ، وأما أبو عامر فأَصرَّ على الكفر ، إلى أن مات طريداً وحيداً في بلاد الشام .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خرج أبو عامر إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ، معه خمسون غلاماً من الأَوس ، وفي رواية : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق ، وكان أبو عامر يُسمى في الجاهلية الراهب ، فسمّاه رسول الله ﷺ : الفاسق . فلما سمع ردَّهم عليه قال : أَصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم[1] بالحجارة[2] .

لقد كان أبو عامر من الرهبان ، وعلى هؤلاء وعلى الأحبار أَخذ الله الميثاق على لسان أَنبيائهم بأَنَّه إذا ظهر النبي العربي أن يؤمنوا به ، وأن يدعوا الناس إلى الإيمان به ، وكانوا قبل ظهوره يبشِّرون به ،

---

(١) راضخهم : راماهم .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٢ ، الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٥١ .

ويذكرون أوصافه ، والبركات والخيرات وانتشار الإيمان ، وإبادة الأَصنام عند ظهوره . فلما ظهر وبُعِث وأُرْسِلَ ، كانوا أَوَّل الأَعداء له ، ونبذوا ميثاق الله الذي أخذه عليهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونظروا بعين المصلحة الدنيوية ، فَخُيِّل إليهم أنهم إذا اعترفوا بنبوَّته سيحرمون المنافع المادية التي كانوا يأخذونها من أتباعهم ، ورأوا أنهم سيخسرون زعامتهم ، فآثروا المنفعة الدنيوية العاجلة على ميثاق الله الذي أخذه على أنبيائهم وعليهم ، وآثروا دنياهم على آخرتهم[1] ، والعاجل على الآجل ، ﴿ وَإذ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولاتكتُمُونَهُ فَنبذُوهُ وراءَ ظُهُورِهِم واشتَرَوا به ثَمَناً قليلاً ، فبئسَ مايشترون ﴾[2] .

كتموا الحق ، وأخفوا الحقيقة .. وكان مايجب أن يفعلوه الوفاء بالميثاق ، وأن يبشِّروا بالنبي المنتظر ، ويؤمنوا به ، فلم يفعلوا ذلك ، وأَحبوا أن يحمدوا وعملوا عكس مايجب أن يفعلوا : ﴿ لاتحسَبَنَّ الذينَ يفرحونَ بما أَتَوا ويحبُّونَ أَن يُحمَدُوا بما لم يَفْعَلُوا ، فلا تحسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ ولَهُم عَذَابٌ أَليم ﴾[3] .

---

(١) مع أن دنياهم لن تضيع ، وسينعمون بعز الإيمان ، ورفاه الإسلام .
(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٧ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٨ .

أَبوسفيَانَ وَامْرأتهُ يحرّضَانِ قرَيْشًا :

قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الـدار يحرِّضهم بـذلـك على القتال : يابني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فـأصـابنـا ماقد رأيتم ، وإنّما يؤتى الناس من قبل رايـاتهم ، إذا زالت زالوا ، فـإمـا أن تكفونـا لواءنـا ، وإمـا أن تخلُّوا بيننـا وبينـه فنكفيكموه ، فهمُّوا بـه وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليـك لواءنـا !؟! ستعلم غـداً إذا التقينـا كيف نصنع ، وهذا ماأراده أبو سفيان .

ونـادى أبو سفيـان : يـامعشر الأَوس والخزرج ، خلُّوا بيننـا وبين بني عمنا وننصرف عنكم ، فجاء الجواب حاسماً قـاسيـاً ، لأن أبـا سفيـان فـاتـه أن رابطـة العقيـدة وحّـدت بين رسول الله ﷺ وبين الأنصـار ، وفرَّقت بين رسـول الله ﷺ وبين أبنـاء عمـه الـوثنيين ، لـذلـك شتمـه الأنصار أَقبح شتم ، ولعنوه أشد اللّعن[1] .

وخرج رجل من المشركين على بعير له ، فدعا للبراز ، فأحجم عنه النـاس ، حتى دعـا ثلاثـاً ، فقـام إليـه الزبير بن العـوام ، فـوثب حتى استوى معه على البعير ، ثم عانقه فـاقتتلا فوق البعير ، فقـال رسول الله ﷺ : الـذي يلي حضيض الأرض مقتول ، فوقع المشرك ، فوقـع عليـه

(١) السيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ٢٢٥ ، السيرة النبـويـة والآثـار المحمـديـة ، جـ ٢ ص ٣٢ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٣ .

الـزبير فـذبحــه ، فــأثنى عليــه رسـول الله ﷺ ، وقــال : « لكل نبي حـواري[1] ، وإن حـواريَّ الـزبير » ، وقـال ﷺ : « لـو لم يبرز إليــه الزبير لبرزت إليه » ؛ لما رأى من إحجام الناس عنه[2] .

وخرج طلحة بن أبي طلحة[3] ، وطلب المبـارزة مراراً ، فلم يخرج إليه أحد ، فقـال : يـاأصحـاب محـمـد ، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنـة ، وأن قتلانا إلى النار ، يـاأصحـاب محـمـد ، إنكم تزعمون أن الله تعـالى يعجلنـا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل أحـد منكم يعجلني بسيفــه إلى النــار ؟ أو أُعجلــه بسيفي إلى الجنــة ؟! كــذبتم والـلاَّت والعزّى ، لو تعلمـون ذلـك حقّـاً لخرج إليَّ بعضكم ، فخرج إليـه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علي رضي الله عنه .

وفي روايــة : التقيــا بين الصَّفين ، فبــدره علي فصرعــه وقطــع رجله[4] ، ووقع على الأرض ، وبدت عورته ، فقال طلحة : يابن عمي

---

(١) حواري : أي نـاصر ، راجع كتـاب دول الإسلام ، جـ ١ ص ١٧ ، طبـع دائرة المعـارف ، حيـدر أباد ، سنة ١٣٣٧ هـ ، والكتاب للحافظ شمس الدين أبي عبد الله ، المتوفى سنة ٧٤٦ هـ .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) واسمه أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين ، لأن بني عبـد الـدار كانوا أصحاب لواء المشركين ، لأن اللواء كان لوالدهم عبد الدار كما تقدَّم .

(٤) وفي روايـة : تقـدم علي وهو يقول : أنـا أبو القَصْم ، أي أبو المعضـلات القصم والـدواهي العظم ، وقيل : « أبو الفَصم » ، وفي التنزيل : ﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ ، وفيه : ﴿ لاانفصام لها ﴾ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٣ .

أنشـدك الله والرَّحم ، فرجع علي عنـه ولم يجهـز عليـه ، فقـال لـه بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟! فقال علي رضي الله عنه : إنَّـه استقبلني بعورته ، فعطفني عليه الرَّحم ، وعرفت أن الله قد قتله . وسألـه رسول الله ﷺ : مامنعك أن تجهز عليه ؟ فقال : ناشدني الله والرَّحم ، فقـال ﷺ : اقتلـه ، فقتلـه[1] ، واستبشر رسـول الله ﷺ وأصحـابـه ، لأنـه كبش الكتيبة .

ثم أخذ لواء المشركين أخو طلحة ، عثمان بن أبي طلحـة[2] ، فحمل عليـه حمزة ، فقطع يـده وكتفـه حتى انتهى إلى مؤتزره ، فرجـع حمـزة وهو يقول : أنا ابن ساقي الحجيج[3] .

فأخذ اللواء أخو عثمان ، وأخو طلحة ، أبو سعيـد بن أبي طلحـة ، فرماه سعد بن أبي وقّاص فأصاب حنجرته فقتلـه ، فحملـه مسـافع بن

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٦ . وطلحة هو كبش الكتيبـة ، أي الجيش ، الـذي رآه رسول الله ﷺ في رؤياه المتقدمة .

(٢) وقال يومئذ وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهـــل اللـــواء حقّـــــاً   أن يخضبـوا الصَّعـدة أو تنـــدقـــا

(٣) ساقي الحجيج : عبد المطلب بن هاشم بن عبد منـاف ، أبو الحـارث ، زعيم قريش في الجـاهليـة ، وأحد سادات العرب ومقدميهم ، مولده في المـدينـة ومنشؤه بمكـة ، كان عـاقلاً ، ذا أنـاة ونجـدة ، فصيح اللسان ، حاضر القلب ، أحبَّه قومه ورفعوا من شأنه ، فكانت له السقـايـة والرفـادة . وهو جـدّ رسـول الله ﷺ ، تـوفي سنـــة ٥٧٩ م عن نحـو ثمـــانين عـــامـــاً أو أكثر . « الأعـلام ، جـ ٤ ص ٢٩٨ » .

طلحة بن أبي طلحة الذي قتله علي رضي الله عنه ، فرماه عاصم بن ثابت بنْ أبي الأَقْلَح فقتله . ثم حمل اللواء أخو مسافع ، وهو الحرث بن طلحة ، فرماه عاصم فقتله . وكانت أمهما وهي سلافة معهما في جيش المشركين ، وكل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتي أُمَّه ويضع رأسه في حجرها ، فتقول له : يابني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن أبي الأَقلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الإبل[1] .

فحمل لواء المشركين أخو مسافع وأخو الحارث ، وهو كلاب بن طلحة ، فقتله الزبير أو قزمان ، فحمله أخوهم الجلاس بن طلحة ، فقتله طلحة بن عبيد الله .

فكل من مسافع والحرث وكلاب والجلاس الأربعة أَولاد طلحة بن أبي طلحة ، كل قتل كأَبيهم ، وعمّيهم عثمان وأبي سعيد . وعند ذلك حمل

---

(١) فلما أُصيب عاصم يوم الرَّجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه ليبيعوه مِنْ سُلاَفة ، فبعث الله عز وجل عليه مِثل الظُّلَّة من النحل والزنابير فحمته ، ولم يقدروا على شيء منه ، فلما أعجزهم قالوا : إن النحل والزنابير ستذهب إذا جاء الليل ، فبعث الله مطراً ، فجاء سيل فحمله فلم يوجد ، وكان قد عاهد الله تعالى أن لايمس مشركاً ولايَمَسَّه مشرك ، فحماه الله بعد وفاته . (أُسد الغابة في معرفة الصحابة . جـ ٣ ص ١١١) .

اللواء أرطاة بن شرحبيل ، فقتله علي رضي الله عنه أو الحمزة ، فحمله شريح بن قارظ ، فقتل ولم يعرف قاتله ، ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار ، فقتله قزمان ، فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم ، فقتله قزمان أيضاً ، ثم حمله صؤاب غلامهم وكان حبشياً ، فقاتل حتى قطعت يده ، ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه ، حتى قتل عليه ، قتله قزمان أو علي أو سعد بن أبي وقاص .

وعند قتل أصحاب اللواء صار المشركون كتائب متفرّقة ، فجاس المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أثقالهم ، وكان شعار المسلمين : أَمت ، أَمت ، أي أمتهم ياالله ، وشعار المشركين : ياللعزّى[1] ، ياهبل[2] .

وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، فكانت تنضح بالنبل ، نبل الرماة الخمسين ، فترجع مغلولة متفرِّقة .

ولما التقى الناس ، وحميت الحرب ، قامت هند بنت عتبة ، زوج أبي سفيان بن حرب ، في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما قالت :

---

(١) العزّى : شجرة كانوا يعبدونها .

(٢) هَبَل : صنم كان داخل الكعبة منصوباً على بئر .

وَيْهاً[1] بني عبدِ الدارِ ويهاً حُماةَ الأَدْبارِ
ضَرْباً بكلِّ بَتّارِ[2]

وتقول :

نحن بنات طارق[3] نمشي على النمارق[4]
مشي القطا النواتق[5] والمسك في المفارق
والدر في المخانق إن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامِق[6]

الزبير بن العوام وأبو دجانة :

قال الزبير بن العوام : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن

---

(١) ويها : كلمة إغراء وتحريض ، كما تقول : دونك يا فلان . والأدبار : الأعقاب ، أي الذين يحمون أعقاب الناس .

(٢) البتّار : السيف القاطع .

(٣) الطارق : النجم ، والمراد : نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم .

(٤) النمارق : الوسائد الصغيرة ، وكل ما يجلس عليه .

(٥) أي مشية الخفاف .

(٦) الوامق : المحب ، والأبيات مجموعة من : البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٦ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣١ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٦ ..

قريش ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، وكان مكتوباً على أحد طرفيها : « نصر من الله وفتح قريب » ، وفي طرفها الآخر : « الجبانة في الحرب عار ، ومن فرَّ لم ينج من النار »[1] ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهذا ما كانت الأنصار تقوله إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي[2] ونحن بالسفح لدى النخيل
ألاّ أقوم للدهر في الكيُّول[3] أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً مسلماً إلا ذفف عليه ، أي أسرع في قتله ، فجعل كل واحد فيهما يدنو من صاحبه ، يقول الزبير : فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشركُ أبا دجانة ، فاتقاه

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) يعني رسول الله ﷺ ، وكان أبو هريرة يقول : حدثني خليلي ، وأنكره عليه بعض الصحابة ، وقيل له : متى كان خليلك ؟! وإنما أُنكر عليه لقوله ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أُخوة الإسلام » . وليس في الحديث ما يدفع أن يقول الصحابي : حدثني خليلي ؛ لأنهم يريدون به معنى الحبيب ، وإنما فيه أن النبي ما خص بها أحداً ، دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له ، وما كان في قلوبهم من المحبة له يقتضي هذا ، وأكثر منه ، مالم يكن الغلو : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد الله ورسوله » .

(٣) الكيول : آخر الصفوف .

بدرقته ، فعضّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ، فقلت : الله ورسوله أعلم[1] .

وقال أبو دجانة : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

وهذا تكريم رائع للمرأة ، كي لا يقال : إن المسلمين قتلوا النساء وهن غير محاربات في الجيش ، فهن ظعائن خلف الجيش يحمسنَ فقط . وفي السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣١ ، يقول أبو دجانة سبب عدم قتل هند بوضوح : « لا ناصر لها » ، لا احتقاراً ونظرة دُون للمرأة ، بل احتراماً وتقديراً وتكريماً للمرأة ، وحماية لها .

☆ ☆ ☆

استشهاد حمزة رضي الله عنه :

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٧ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢١ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٢ .

اللـــواء ، ثم مرّ بــه سبــاع بن عبــد العــزّى الغبشــاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلي يا بن مقطِّعة البظور[1] ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قــال وحشي ، غـلام جبير بن مطعم : والله إني لأنظر إلى حمــزة يهـد[2] النـاس بسيفـه مـا يليق[3] بـه شيئـاً ، مثل الجمـل الأورق[4] ، إذ تقـدمني إليـه سبـاع بن عبـد العزّى ، فقـال لـه حمزة : هلم إلي يـا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة ، فكأنمـا أخطـأ رأسـه ، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليـه ، فوقعت في ثُنَّتـه[5] حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فَغُلب فوقع ، وأمهلتـه حتى إذا مـات جئت فـأخـذت حربتي ، ثم تَنحَّيْتُ إلى العسكر ، ولم تكن لي بشيء حـاجـة غيره .

(١) كانت أُمه أم أنمـار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختّـانـة بمكـة ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٠ .

(٢) يهد : يهلك .

(٣) ما يليق : ما يبقي .

(٤) الأورق : مغبر اللون .

(٥) ثُنَّته : تحت السرة وفوق العانة ، وكان حمزة قـد عثر فـانكشف الـدرع عن بطنـه ، وفي روايـة : كان حمـزة يقـاتـل بسيفين وهـو يقـول : أنـا أسـد الله ، ولكنـه عثر عثرة وقـع منهـا على ظهره ، فانكشف الدرع عن بطنه فطعنه وحشي . (الروض الأنزه في مناقب سيـدنـا حمزة رضي الله عنـه لجعفر حسن البرزنجي الشافعي المفتي بطيبة ، ص ٣ ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية الظاهريـة بدمشق ، رقم : ٨٤٦٣) .

قال عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث ، عن سلمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أُمية الضمري ، قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان[١] ، فأدربنا مع الناس[٢] ، فلما قفلنا مررنا بحمص ، وكان وحشي قد سكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في أن نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة[٣] له ، فإذا شيخ كبير مثل البغاث[٤] .

فإذا هو صاح لا بأس به ، قال : فلما انتهينا إليه سلَّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي ، فقال : ابن لعدي بن الخيار أنت ؟

---

(١) الخليفة الأُموي الأول ، من : ٤١ هـ ، إلى : ٦١ هجرية .

(٢) أدربنا : اجتزنا الدروب .

(٣) الطنفسة : كل ما يجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب .

(٤) البغاث : ضرب من الطير ، لونه أسود .

قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أُمك السَّعدية التي أرضعتك بذي طوى[1] ، فإني ناولتكها وهي على بعيرها ، فأخذتك بعُرضيك[2] ، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليَّ فعرفتها . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟!

فقال وحشي : أما إني سأُحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيمة بن عدي قد أُصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أُحُد ، قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق ، فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أَقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلما أُخطئ بها شيئاً ، فلما التقى الناس ، خرجت أَنظر حمزة وأتبصَّره ، حتى رأيته في عُرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدّاً ، ما يقوم له شيءٌ ، فوالله إني لأتهيأ له ، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني ، إذ تقدَّمني إليه سباع بن عبد العزّى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلي يا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، وهززت

---

(١) أم عبيد بن عدي قرشية أمية لا سعدية ، إلا أن يريد بها مرضعته إن كانت سعدية ، واسمها : أم قتال بنت أبي العيص بن أمية ، ذكرها البخاري في هذا الخبر ، ولم يقل إنها سعدية . أما عبيد الله بن عدي فولد في حياة رسول الله ﷺ ، ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك .

(٢) بِعُرضيك : بجانبيك .

حربتي حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه فوقعت في ثنّته حتى خرجت من بين رجليه[1] ، وذهب لينوء[2] نحوي فَغُلِب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وإنَّما قتلته لأُعتق ، فلما قدمت مكة أُعتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت[3] عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل : ويحك إنَّه والله ما يُقْتَل أَحد من الناس دخل في دينه ، وتشهَّد شهادته .

فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه ، أتشهَّد بشهادة الحق ، وقال الناس : يا رسول الله هذا وحشي ، فقال ﷺ : دعوه فلإسلام رجل واحد أَحب إليّ من قتل ألف رجل كافر[4] . فلما رآني قال : أَوحشي ؟

(١) قال حسان بن ثابت : والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارع ـ أي أطمة ـ فقلت : والله إن هذه لسلاح ماهي بسلاح العرب ، كأنها إنما تهوي إلى حمزة ولاأدري ، وفي البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٩ (حتى خرجت مابين وركيه) .

(٢) ينوء : ينهض متعباً .

(٣) تعيّا بالأمر كتعنى ، ويقال في المشي : أعييت وأنا عَيِيّ .

(٤) الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٦٣ ، وأوردنا هنا رواية ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٢ . وهي أيضاً في :

قلت : نعم يا رسول الله ، قال : اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ، قال وحشي : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك !! غَيِّب عني وجهك ، فلا أرينك ، فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله ﷺ .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس ، رأيت مسيلمة الكذاب قائماً في يده السيف وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصاري[1] بالسيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ، فإن كنت قتلته ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد قتلت شر الناس .

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ وكان قد شهد اليمامة ـ : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

ولم يزل وحشي يشرب الخمر حتى خُلِعَ من الديوان[2] ، فكان عمر

البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٧ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٥١٦ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٣ ، والاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠١ .

(١) وهو عبد الله بن زيد ، وفي رواية : اشترك معهما أبو دجانة أيضاً .

(٢) ديوان المجاهدين أيام عمر رضي الله عنه .

ابن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة[1] .

☆ ☆ ☆

استشهاد مصعب بن عمير :

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتِل ، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً[2] ، فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب .

ولم يترك مصعب رضي الله عنه إلا نَمِرة[3] ، يقول عبد الرحمن بن عوف : إذا غطينا بها رجليه خرج رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه (الإذْخِر)[4] . وكان مصعب بن عمير قبل الإسلام فتى مكة شباباً وجمالاً ولباساً وعطراً .

لقد أسلم مصعب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ، وكان يختلف إلى

---

(١) أي لم يكن ليترك من الابتلاء ، فتكرر حَدُّه في شرب الخمر ، وإخراجه من ديوان المجاهدين من أقبح الابتلاء ، من حديث رواه الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب ، (السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٣) .

(٢) لأن مصعباً رضي الله عنه كان إذا لبس لأمته يشبه النبي ﷺ .

(٣) النَمِرة : بردة من الصوف .

(٤) الإذْخِر : ـ بكسر الهمزة ـ حشيش معروف طيب الرائحة .

رسول الله ﷺ سرّاً ، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي ، فأعلم أهله ، فأخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأُولى يفقّه أهلها ويقرئهم القرآن ، ويصلي بهم . وكان يسمى بالمدينة المقرئ ، وأسلم على يده أُسيد بن حُضَير وسعد بن معاذ ، وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام .

كان عمره يوم استشهد في أُحد أربعين سنة أو أكثر قليلاً .

قال سعد بن أبي وقاص : كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة ، وأجوده حُلَّةً مع أبويه ، ثم لقد رأيته جُهِد في الإسلام جهداً شديداً ، حتى لقد رأيت جلده يَتَحشَّفُ[1] كما يتحشَّف جلد الحية .

وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : « ما رأيت بمكة أحسن لِمَّةً[2] ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير »[3] .

رحم الله مصعباً .. فلو لم يجد منتهى السعادة الروحية في إسلامه ، وغاية السرور في إيمانه ، مع كامل الصفاء القلبي في صحبة رسول الله ﷺ ، لما انقلب وتحوّل هذا التحوُّل الجذري في حياته وسلوكه .

---

(١) يتحشَّف : يتقبض ويتقلَّص .

(٢) لِمَّة : من شعر الرأس دون الجمة، سُمِّيت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين ، فإذا زادت فهي الجمة .

(٣) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، جـ ٥ ص ١٨١ .

ما أعظم هذه العيِّنة من الرجال ، وما أرقى تربيتهم التي رباهم عليها رسول الله ﷺ . لقد رفع مصعب لواء المسلمين في أُحد ، وما وصل وارتقى إلى هذا المقام ، إلا بعد أن تزكت روحه ، وعشقت ربها ، واستنار قلبه بنور الله عز وجل ، فأنكر ذاته ، وعاش لعقيدته ، واستشهد من أجلها .

وسيبقى مصعب في تاريخنا من الخالدين ، مع الشخصيات الجليلة ، والنفوس النبيلة ، والأعلام العظام .

☆ ☆ ☆

ولما اشتد القتال يوم أُحد ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأَنصار ، وقال : « اللهم بك أحول[1] ، وبك أصول ، وفيك أُقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل » . وأرسل ﷺ إلى علي رضي الله عنه أن تقدَّم بالراية ـ بعد استشهاد مصعب ـ فتقدم علي يحمل الراية .

حَنْظَلَةُ غَسِيلُ ٱلملائِكَةِ :

استأذن حنظلة رسول الله ﷺ في قتل أبيه ـ أبي عامر الفاسق ـ ، فنهاه عن قتله[2] . وخلال المعركة التقى حنظلة وأبو سفيان ، فلما

---

(١) أي أمنع .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٣ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٢١ ، الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٥٤ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ . واسم أبي عامر : عبد عمرو .

استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد علا أبا سفيان ، فضرب شداد حنظلة فقتله . فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض »[1] ، فسألوا أهله - بعد المعركة - ما شأنه ؟! فقالت زوجه جميلة بنت أُبي بن سلول ، أُخت عبد الله بن أُبي بن سلول ، وكان ابتنى بها تلك الليلة[2] ، فكانت عروساً عنده ، فرأت في النوم تلك الليلة كأن باباً في السّماء فُتح له فدخله ، ثم أُغلق دونه ، فَعَلِمَت أنه ميت من غده ، فدعت رجالاً من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع . وقالت زوجه : خرج وهو جنب ، سمع الهاتفة ، ومنادي الجهاد ، فعجَّل عن الغسل إجابة للداعي[3] . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسلته الملائكة » ، والتمس في القتلى ، فوجدوه يقطر رأسه ماءً ، وليس بقربه ماء تصديقاً لما قاله ﷺ .

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٤ ، الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٦٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٤١ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١١٠ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٥ ، وابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٥ ...

(٢) ولدت له عبد الله بن حنظلة ، وهو الذي ولاَّه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية .

(٣) جاء في الحديث الشريف : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة - منادي الجهاد - طار إليها » . ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٥ .

وقال أبو سفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نَجَّتْني كُمَيْتٌ طِمرَّةٌ[1] ... ولم أَحْمِل النَّعماءَ لابنِ شَعُوبِ

وما زالَ مُهْري مَزْجَرَ الكَلْبِ منهمُ ... لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى دَنَتْ لِغُرُوبِ[2]

وسَلَّى الذي قد كان في النَّفسِ أنني ... قَتَلْتُ من النَّجارِ[3] كُلَّ نَجيبِ

وَمِنْ هاشم قَرْماً[4] كريماً ومُصْعَباً ... وكان لدى الهَيْجاء غيرَ هَيُوبِ

فلو أنني لم أَشْفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجاً في القلبِ ذات نُدوبِ[5]

فآبُوا وقد أَوْدَى الجلابيبُ منهم ... بهم خَدَبٌ مِنْ مُعْبِطٍ وكئيبِ[6]

أَصابَهُمُ من لم يكن لدِمَائِهِم ... كَفيّاً ولا في خُطَّةٍ بضريبِ[7]

فأجابه حسان بن ثابت :

---

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) أي لم يبعد عنهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر إليه الكلب ، والضمير المستتر في دَنَتْ للشمس .

(٣) بنو النجار ، من سكان المدينة ، وهم أخوال رسول الله ﷺ ، ولعلّه يعني الأنصار عموماً .

(٤) القرم : السيد ، يعني حمزة .

(٥) ندوب : جمع ندب أو النَّدَبَةُ : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد ، لسان العرب ، جـ ١ ص ٧٥٣ .

(٦) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار الخشن ، وكان المشركون يسمون من أسلم الجلابيب ، والخدب : الطعن النافذ ، والمعبط : الذي يسيل دمه .

(٧) ليست هذه كل الأبيات ، راجع ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٤١ .

ذَكَرتَ القُرُومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ... ولستَ لِزُورٍ قُلْتَه بمُصيبِ

أتَعْجَبُ أنْ أقْصَدتَ حمزة منهُمُ ... نجيباً وقد سَمَّيْتَهُ بنجيبِ

ألَم يقتُلُوا عَمْراً وعُتْبَةَ وابنَهُ ... وشَيْبَةَ والحَجَّاجَ وابنَ حَبيبِ !

غَداةَ دعا العاصي عَليّاً فراعَهُ ... بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بلَّه بِخَضيبِ

وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه :

لأَحْمِينَّ صاحبي ونَفْسي ... بطعنةٍ مثلِ شعاعِ الشمسِ

وقال أيضاً :

ولولا دفاعي يابنَ حربٍ ومَشْهَدي ... لأُلْفِيتَ يومَ النَّعْفِ[1] غيرَ مُجيبِ

ولولا مَكَرِّي المُهْرَ بالنَّعفِ فَرفَرت[2] ... عليه ضِبَاعٌ[3] أو ضِرَاءُ كَليبِ[4]

☆ ☆ ☆

(١) النَّعف : ما انحدر من حزونة الجبل ، ويعني يوم أُحد .

(٢) فرفرت : أسرعت وطاشت ، وفي ابن هشام والطبري : قرقرت « بالقاف » .

(٣) ابن هشام والطبري : ضِبَاعٌ عليه .

(٤) الضراء : الضارية من الكلاب .

عند فقد المبادأة يستحيل تحقيق النصر

☆ ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُم في سَبيلِ اللهِ أو مُتُّم لمغفِرَةٌ مِنَ اللهِ ورحمةٌ خَيْرٌ مما يَجمَعُون ﴾ .

[آل عمران : ١٥٧]

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها . ولما قُتِل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد ، ولم يقدر أحد أن يدنو منه ، انهزم المشركون ، وولّوا لايلوون على شيء[1] ، ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهن وضربهن بالدفوف ، وألقين الدفوف ، وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن ، يرفعن ثيابهن ، وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح ، ويأخذون الغنائم . ففارقت الرماة محلهم الذي أمرهم ﷺ أن لايفارقوه ، ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ، فقالوا له : انهزم المشركون فما مقامنا هنا ؟ وانطلقوا إلى الغنائم .

---

(١) قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : احمل على جماعة من المشركين ، ففرّقهم ، وقتل فيهم ، ثم أبصر ﷺ جماعة أُخرى فقال له : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل منهم ، فقال جبريل : يارسول الله هذه المواساة ، فقال رسول الله ﷺ : إنّه مني وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكما ، يقال : سُمِع صوت عندها يقول : لاسيف إلا ذو الفقار ، ولافتى إلاّ عليّ .

وثبت عبد الله بن جبير مكانه ، وثبت معه دون العشرة ، وقال : لاأُجاوز أمر رسول الله ﷺ . فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرماة ، وقلّة من به منهم ، فكرَّ بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله بن جبير ، ومثلوا به ، ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت أحشاؤه .

الزبير بن العوام يذكر سبب الهزيمة :

قال ابن العوام رضي الله عنه : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، مادون أخذهن قليل أو كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلُّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ، فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم[1] .

لقد أحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالغنائم ، ودخلت

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٩ ، الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٥٥ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٤ ، وفي الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ : قال الرماة : والله مانجلس هنا لشيء ، قد أهلك الله العدو ، وإخواننا في عسكر المشركين ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله أن لايتركوها ، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول ، فأوجفت الخيل فيهم قتلاً ، ولم تكن نبل تنضحها ، ووجدت مدخلاً عليهم ، فكان ذلك سبب الهزيمة .

خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها : ياللعزّى ، يـاهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون ، وتفرّق المسلمون في كل وجه مما أصـابهم من الدهش والحيرة[(1)] .

ولم يـزل لـواء قريش صريعـاً حتى أخـذتـه عمرة بنت علقمـة الحارثية ، فرفعته لقريش فاجتمعوا عليـه ، وكان اللواء مع صؤاب غلام لبني أَبي طلحـة ، وكان صـؤاب حبشيـاً ، وكان آخر من أخـذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصـدره وعنقـه حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ؟

قال حسان بن ثابت في ذلك :

فخرتم بـــاللــواء وشرُّ فخرٍ ... لــــواءٌ حين رُدَّ إلى صـــؤابِ
جعلتم فَخْركم فيـــه لعبـــدٍ ... وألأم مَنْ يَطَـــا عفرَ الترابِ
ظننتم والسَّفيـــهُ لـــه ظُنـونٌ ... ومـــاإنْ ذاك مِن أمرِ الصـوابِ
بـأَنَّ جِـلادَنـا يـوم التقينـــا ... بمكـــة بَيْعكم حُمر العيـــابِ[(2)]
أَقرَّ العينَ أن عُصِبت يــــداه ... ومـــاإنْ تُعْصَبـــان على خِضَـابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

---

(1) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٣٩ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٥ . ويقول الحافظ ابن حجر في هزيمة المسلمين بأُحد : إنها شؤم ارتكاب النهي .

(2) العياب : ماتضع فيه الناس حوائجهم .

إذا عَضَـلٌ سيقت إلينـا كأنهـا جدايةُ شِرْك مُعَلمات الحواجبِ[1]
أقمنـا لهم طعنـاً مبيراً مُنَكِّـلاً وحُزْناهم بالضرب من كلّ جـانبِ
فلـولا لـواءُ الحـارثيـة أصبحـوا يُباعون في الأسواق بَيْع الجلائبِ[2]



وانهزمت طائفة من المسلمين إلى جهـة المـدينـة ، ولم يـدخلوهـا . وقال رجـال من المسلمين حيث نودي أن رسول الله قـد قُتِل : (ارجعوا إلى قومكم يؤمنوكم) .

وقال ثابت بن الدحداح : يامعشر الأنصار ، إن كان محمد قد قتل فـإن الله حيّ لا يمـوت ، قـاتلـوا على دينكم فـإن الله مظفركم ونـاصركم ، فنهض إليه نفر من الأنصار ، فحمل بهم على كتيبـة فيهـا خـالـد وعمرو وعكرمة وضرار بن الخطاب ، فحمل عليـه خـالـد بن الوليـد بـالرمح فقتله ، وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم .

وقـال بعض المنـافقين : ليت لنـا رسـولاً إلى عبـد الله بن أُبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، ياقوم إن محمداً قـد قُتِلَ فـارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

---

(١) الجداية : الغزال ، وشرك : اسم موضع ، وعضل : اسم قبيلة .
(٢) الجلائب : مايجلب إلى الأسواق ليباع فيها .

وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة ، فلقيتهم أُم أيمن ، فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به ، وأعطني سيفك .

قال البخاري : حدثنا عَبْدان « عبد الله بن عثمان المروزي » ، أَخبرنا أبو حمزة ، عن عثمان بن مَوْهَب ، قال : جاء رجل حجَّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قال : هؤلاء قريش ، قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدّثني ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فرَّ يوم أُحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيَّب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلَّف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : فكبَّر ، مستحسناً لما أجابه ابن عمر ، لمطابقته لما يعتقده في عثمان رضي الله عنه .

قال ابن عمر : تعالَ لأُخبرك ولأُبيِّن لك عما سألتني عنه .

أما فراره يوم أُحد : فأشهد أن الله عفا عنه ، ﴿ ... ثمَّ صرفكم عنهم ليبتلِيَكُم ، ولقد عَفَا عنكم واللهُ ذو فَضْلٍ على المؤمنين ﴾[1] . وأما تغيُّبه عن بدر فإنه كان تحته بنتُ النبي ﷺ وكانت مريضة ، فقال له

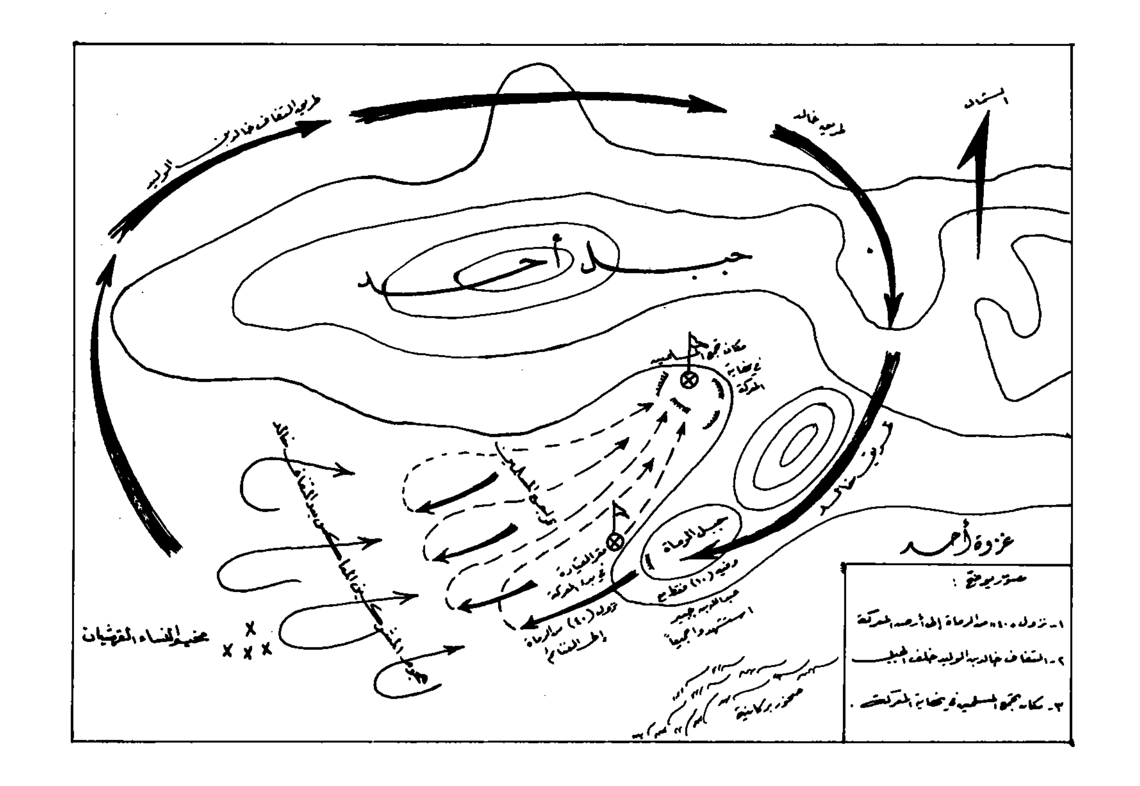
---

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٢ .

رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه . وأما تغيُّبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أَحَد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعةُ الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان ، فضرب بها على يده ، فقال : هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك[1] .

☆ ☆ ☆

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٤ .



غزوة أحد
مفتاح الخريطة :
١- نزول ٤٠ من الرماة إلى أرض المعركة
٢- التفاف خالد بن الوليد خلف الجبل
٣- مكان تجمع المسلمين في نهاية المعركة .
جبل أحد
طريق التفاف خالد بن الوليد
طريق خالد
الشمال
جبل الرماة
وفيه (١٠) مقاتلين
عبد الله بن جبير
استشهدوا جميعاً
نزول (٤٠) من الرماة
إلى الغنائم
مقر القيادة
في بدء المعركة
مكان تجمع المسلمين
في نهاية
المعركة
مقدمة المسلمين
هجوم المشركين بعد التفاف خالد
مخيم النساء القرشيات
منطقة بركانية

إنّ لحظةً واحدة يمكنها أن تحدد مصير المعركة

☆ ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم ولو كنتَ فَظّاً غَلِيظَ القلبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فاعْفُ عَنْهُم واستَغْفِرْ لَهُم وشاوِرهُم في الأَمرِ ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّل على اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوكّلين ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

مَا أصَابَ الرَّسُولُ يَوْمَ أُحُد :

وانكشف المسلمون ، فأصاب العدو فيهم ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، وأكرم الله فيه مَنْ أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، وقذف بالحجارة حتى وقع لشقّه[١] ، فأُصيبت رباعيته ، وشُجَّ في وجهه ، وَكُلِمَت[٢] شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص[٣] .

---

(١) الشق : الجانب .

(٢) كلمت : جرحت .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٧ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١٠٧ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٥ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٨ ، عيون الأثر : جـ ٢ ص ١٢ .

عن أنس بن مالك قال : كُسِرت رباعية النبي ﷺ يوم أُحد ، وشج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيِّهم وهو يدعوهم إلى الله ؟! فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ ليس لكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم أو يُعَذِّبَهُم فَإِنَّهُم ظَالِمُون ﴾[1] .

وعن أبي سعيد الخدري قال : إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السُّفلى ، وجرح شفته السفلى ، ودعا عليه ﷺ بقوله : اللهم لايحول عليه الحول حتى يموت كافراً ، وقد استجاب الله عز وجل ذلك ، وقتله في ذلك اليوم حاطب بن أبي بلتعة . قال حاطب : رأيت مافعل عتبة برسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ : أين توجّه عتبة ؟ فأشار النبي ﷺ إلى حيث توجَّه ، فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه ، وأخذت فرسه وسيفه ، وجئت به إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي : رضي الله عنك ، رضي الله عنك مرتين[2] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٢٨ .

(٢) وهذا يخالف قول بعضهم : إنّه مات بعد أن أسلم بعد الفتح « الكامل في التاريخ ، جـ ١ ص ١٠٧ » .

وشجَّ عبد الله بن شهاب الزهري رسولَ الله ﷺ في جبهته[1] .

وإن ابن قَمِئَة الحارثي جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر[2] في وجنته ﷺ ، وقال لما تقدم نحو رسول الله : خذها وأنا ابن قمئة ، فقال رسول الله ﷺ : أقمأك الله عز وجل[3] ، واستجاب الله فيه دعوة نبيِّه ﷺ ، فإنه بعد أُحد ، خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل ، فأخذ يعترضها ، فشدَّ عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطَّع .

وفي رواية : فسلَّط الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة[4] .

ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ، ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون ، وكان من سبب وقوعه أيضاً أن ابن قمئة الحارثي علاه ﷺ بالسيف ، فلم يؤثر فيه السيف[5] ،

---

(١) هذا عبد الله بن شهاب الأصغر ، أما عبد الله بن شهاب الأكبر فهو من مهاجرة الحبشة ، توفي بمكة قبل الهجرة ، وأسلم عبد الله الأصغر فيما بعد .

(٢) المغفر : حلق يجعل على الرأس يتقى به ضرب السلاح في الحرب . واسم ابن قمئة : عبد الله بن قمئة الحارثي .

(٣) أي صغَّرك وأذلَّك .

(٤) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤٦ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٩ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٠ .

(٥) لقد لبس ﷺ درعين ، أخذاً بالأسباب ، فلم يؤثر السيف فيه .

إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه الشريف ، فشكا ﷺ منه شهراً أو أكثر .

وأخذ علي رضي الله عنه بيد رسول الله ﷺ ، ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائماً ، لقد جلس طلحة تحت رسول الله ﷺ ، ثم نهض به حتى استوى ، وأجلسه على صخرة في الشِّعْب ، فقال رسول الله ﷺ : « أوجب طلحة » ، أي فعل شيئاً استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ماصنع[1] .

ومصَّ مالك بن سنان ـ أبو أبي سعيد الخدري ـ الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم ازدرده ، فقال رسول الله ﷺ : « من مسَّ دمي دمه لم تصبه النار »[2] .

ومما قاله ﷺ بحق مالك بن سنان : « من أراد أن ينظر إلى

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤٩ ، جاء : « واحتضنه طلحة حتى استوى قائماً » وقال ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » .

(٢) وكذلك عبد الله بن الزبير ، قال : أتيت النبي ﷺ وهو يحتجم ، فلما فرغ ، قال : ياعبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لايراك أحد ، قال : فشربته ، فلما رجعت قال : ياعبد الله ماصنعت ؟ قلت : جعلته في أخفى مكان علمت أن يخفى على الناس ، قال : لعلك شربته ؟؟ قلت : نعم ، قال : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس ، لن تمس النار جوفك إلا تحلَّة القسم . ولم يأمر النبي ﷺ بغسل فم الذي ازدرد الدم ، كل ذلك خصوصية لرسول الله ﷺ .

رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » وأشار إليه ، وفي لفظ : « من سرّه أن ينظر إلى من لاتمسه النار ، فلينظر إلى مالك بن سنان » . فاستشهد في أُحد ، رضي الله عنه .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : إن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ ، فسقطت ثنيته[1] ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأُخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

☆ ☆ ☆

مِنْ بُطُولاتِ الصَّحَابةِ في أُحُد :

قال الحافظ ابن حجر : صار المسلمون ثلاث فرق ، فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة ، فما رجعوا حتى انفض القتال ، وهم قليل ، وفي حقّهم نزل : ﴿ إنَّ الذينَ تَوَلَّوا منكم يومَ التقى الجَمْعَانِ إنَّما استزلَّهُم الشيطانُ ببعضِ ماكَسَبُوا ، ولقد عَفَا الله عَنْهُم إن اللهَ غَفورٌ حَليمٌ ﴾[2] .

وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل ، فصارت

(١) ثنيته : الأسنان الأمامية « الثنايا » . ومن كُسِرت ثناياه فهو : أهْتَم ، لسان العرب ، جـ ١٢ ص ٦٠٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٥ .

غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه ، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة .

وفرقة تثبتت مع النبي ﷺ . ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه ﷺ حي[1] ، وجاء أنه ثبت بين يديه ﷺ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودَّع[2] .

قال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من رجل يشري لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السَّكَن[3] في نفر خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يُقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد بن السَّكن ، فقاتل حتى أُثْبِت[4] ، ثم فاءت منه فئة من المسلمين ، فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فوسَّده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ[5] .

☆ وقاتلت أُم عمارة ، نُسَيبة بنت كعب المازنية يوم أُحد .

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٨ .

(٢) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤٢ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٣ .

(٣) زياد بن السَّكَن بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي الأشهلي ، يجتمع هو وسعد بن معاذ في امرئ القيس ، قتل شهيداً يوم أُحد . « أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، جـ ٢ ص ٢٧٠ » .

(٤) أي حتى منعته جراحاته أن يفارق مكانه .

(٥) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٢٩ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٥ .

ذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أُم عمارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه والدولة والريح[1] للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ ، قالت أُم سعد : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابكِ بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلانجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأُناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

وفي رواية : خرجت نُسَيبة يوم أُحد وزوجها زيد بن عاصم وابناهما خبيب وعبد الله[2] ، وقال لهم رسول الله ﷺ : « رحمكم الله أهل البيت ، بارك الله فيكم أهل البيت » ، فقالت له نسيبة : ادع الله

---

(١) أي إقبال النصر .

(٢) اشترك ابنها عبد الله بقتل مسيلمة الكذاب ، قالت نسيبة : رأيت الخبيث مقتولاً ، وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه ، فقلت : أقتلته ؟ قال : نعم ، فسجدت لله شكراً .

أن نُرافقك في الجنة . فقال ﷺ : « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنـة » . وعند ذلك قالت رضي الله عنها : ماأُبالي ماأصابني من أمر الدنيا .

وقـال ﷺ في حقهـا : « مـاالتفت يميناً ولاشمالاً يـوم أُحـد إلا ورأيتها تقـاتل دوني » . وقـد جُرِحت رضي الله عنهـا اثنى عشر جرحـاً بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف[1] .

☆ وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجـانـة بنفسـه ، يقع النبـل في ظهره وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل .

☆ وقـال المقـداد بن الأسـود : يـاسعـد ، هـذا رسـول الله ﷺ يدعوك ، فقال سعد : وأين هو ؟ فأشار إليه ﷺ . يقول سعد بن أبي وقـاص : فقمت وكأنـه لم يصبني شيء من الأذى ، وأجلسني أمـامـه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عـدوك ، ورسول الله ﷺ يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته ، وأجب دعوتـه ، فكان سعـد مجـاب الـدعوة ، حتى إذا فرغ النبل من كنـانتي نثر ﷺ لي مـافي كنانته ، وانكشف الناس عنه ﷺ ، قال سعد : لقد رأيتني والنبي ﷺ يناولني النبل ويقول : ارم فـداك أبي وأمي ، حتى إنّـه ليناولني السّهم

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ ، البداية والنهايـة ، جـ ٤ ص ٣٤ ، السيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ٢٤٣ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٠ .

ماله نصل ، فيقول : ارم به . وجاء أن سعداً رضي الله عنه رمى يوم أُحُد ألف سهم مامنها سهم إلا ورسول الله ﷺ يقول : ارم فداك أبي وأُمي ، ففدّاه ذلك اليوم ألف مرة[1] .

وكان ﷺ يفتخر بسعد ، ويقول : « هذا سعد خالي[2] ، فليرني امرؤ خاله » ، وكان رضي الله عنه إذا غاب يقول النبي ﷺ : « مالي لاأرى الصبيح المليح الفصيح » .

ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سِيَتُها[3] ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأُصيبت يوم أُحد عين قتادة[4] حتى وقعت على وجنته ، وقيل : صارت في يده ، فأتى بها رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله فلم تفقد منها شيئاً ، فقال : يارسول الله ، إن الجنة لجزاء جميل ،

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٤ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤١ و ٤٥ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٢٧ .

(٢) لأن سعداً رضي الله عنه كان من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ منهم . « السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٤١ » .

(٣) سيتها : طرفها .

(٤) لإصابة عين قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه ، راجع : السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٧ ، الاكتفاء : جـ ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٣ ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٥ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٦ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٤ .

وعطاء جليل ، ولكني لي امرأة أُحبها ، وأخشى إن رأتني أن تقذرني ، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردّها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسِه جمالاً ، وقال ﷺ : اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك ، اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدّهما[1] ، فكانت لاترمد إذا رمدت الأُخرى .

قال الأصمعي : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان ، فقال : مِمَّن الرجل ؟ فقال مرتجلاً :

أنا ابنَ الذي سالَتْ على الخدّ عينُه فَرُدَّت بكفّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادَتْ كما كانت لأَوَّلِ أمْرِها فيا حُسْنَها عَيناً و ياحُسْنَ ماخَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارِمُ لاقَعْبان من لبنٍ شِيبا بماءٍ فَعادا بعدُ أبوالا !

ووصله عمرُ وأحسن جائزته[2] .

---

(١) أحدّهما : أقواهما نظراً .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٣ ، السيرة النبوية والآثار المحمديّة ، جـ ٢ ص ٥٨ .

☆ ورمى أبو طلحة الأنصاري[1] ، وكان رجلاً رامياً شديد الرمي ، فنثر كنانته بين يدي رسول الله ﷺ ، وصار يقول : نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوقاء ، فلم يزل يرمي بها ، وكان الرجل يمرّ بالجَعْبَةِ من النبل فيقول ﷺ : انثرها لأبي طلحة ، وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة ، وصار رسول الله ﷺ يشرف[2] ليرى مواضع النبل ، فيقول له أبو طلحة : يانبي الله بأبي أنت وأمي ، لاتشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ، ويتطاول أبو طلحة بصدره ليقي رسول الله ﷺ[3] .

☆ ولم يشهد أنس بن النضر[4] بدراً ، فشق عليه ذلك ، فلما كان يوم أُحُد قال : يارسول الله ، إني غبت عن أول قتال وقع قاتلتَ فيه المشركين ، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينَّ الله ماأصنع ، فلما رأى تراجع المسلمين قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء[5] ،

---

(١) أبو طلحة الأنصاري اسمه : زيد بن سهل ، قال عنه رسول الله ﷺ : « صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل » ، وفي رواية : « خير من فئة » ، راجع أُسد الغابة ، جـ ٢ ص ٢٨٩ و جـ ٦ ص ١٨١ .

(٢) ينظر إلى القوم .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٠ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤١ .

(٤) عم أنس بن مالك ، قال أنس بن مالك : سُمّيت به ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٢ .

(٥) يعني المسلمين .

وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء[١] ، ولما سمع قتل رسول الله ﷺ ، مَرَّ برجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : مايجلسكم ؟!؟ قالوا : قُتِل رسولُ الله ﷺ ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟! ، قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل المشركين ، وقال لسعد بن معاذ : ياأبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة ، ورب الكعبة أجد ريحها دون أُحُد[٢] ، وقاتل رضي الله عنه حتى قُتل ، فوجد فيه بضع وثمانون جراحة ، مابين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ومثَّل به المشركون ، فما عرفته أخته « الربيع » إلا ببنانه .

☆ وأُصيب عبد الرحمن بن عوف في فيهِ يومئذ فهتم[٣] ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، إصابة بعضها في رجله فعرج[٤] . وكان أوَّل

---

(١) يعني المشركين ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٢ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣١ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥١٧ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٠ .

(٣) هتم : كسرت ثنيته .

(٤) كان ابن عوف عظيم التجارة ، فكثر ماله ، حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البُرَّ والدقيق والطعام ، فلما دخلت المدينة ، سُمِع لأهل المدينة رجَّة ، فقالت عائشة : ما هذه الرَّجة ؟ فقيل لها : عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف ، سبعمائة بعير تحمل البُرَّ والدقيق والطعام ، فقالت عائشة : سمعت النبي ﷺ يقول : يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حَبْواً ، فلما بلغه ذلك قال :

من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، بعد أن قال الناس : قُتِل رسول الله ﷺ كعبُ بن مالك ، قال كعب : عرفت عينيه تزهران[1] من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليَّ رسول الله ﷺ أن أنْصُت . فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم ومعه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين[2] .

☆ ☆ ☆

مقتل أبي بن خلف :

وفي الشِّعْبِ أُسند رسول الله ﷺ إلى صخرة ، فأدركهُ أُبيٌّ بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال ﷺ : دعوه ، فلما

يا أمَّه ، إني أُشهدك الله أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله عز وجل . والأحلاس : جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، والقتب للبعير بمثابة البرذعة للحمار ، أُسد الغابة ، جـ ٣ ص ٤٨٠ .

(١) تزهران : تُضيئان .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣١ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٤ .

دنا ، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضة تطاير بها من حوله تطاير الشَّعراء[1] عن ظهر البعير ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها .

وكان أُبي بن خلف حين افتدي من الأسر ببدر يقول : والله إن عندي العَوْذ ، فرساً أعلفها كل يوم فَرَقاً[2] من ذرة ، أقتل عليها محمداً . فبلغت رسول الله ﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما رجع أُبي بن خلف إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك من بأس ، قال أُبي : إنه قد كان قال : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني ، فمات بسَرِف[3] وهم قافلون به إلى مكة[4] .

قال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد وَرِثَ الضلالةَ عن أَبيه	أُبيٌّ يومَ بارَزَه الرسولُ
أَتيتَ إليه تَحْمِلُ رِمَّ عَظمٍ	وتُوعده وأنت به جَهولُ

---

(١) الشَّعراء : ذباب له لذع .

(٢) الفرق : مكيال يسع اثنى عشر رطلاً .

(٣) سَرِف : موضع على ستة أميال من مكة .

(٤) وفي رواية : أن النبي طعنه طعنة وقع منها مراراً من على فرسه ، وجعل يخور ، كما يخور الثور إذا ذبح ، (السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤٤) .

وقـد قتلتْ بنـو النجـار منكم		أُميَّـةَ إذ يُغَـوِّث : يـا عَقيـلُ
وتَبَّ ابنـا ربيعـة إذ أطـاعـا		أبـا جهـل لأُمِّها الهُبُـولُ
وأفلتَ حـارثٌ لـمَّـا شُغلنـا		بـأَسْرِ القـومِ أُسْرتـه فَليـلُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا منْ مُبْلِـغٌ عنِّي أُبَيّـاً		فقـد أُلقيتَ في سُحْـقِ السَّعيرِ
تمَنَّى بـالضَّـلالـةِ مِن بعيـدٍ		وتُقْسم أنْ قَـدرتَ مـع النـذورِ
تمنِّيـك الأَمـاني مِنْ بعيـدٍ		وقـولُ الكفر يَرْجـع في غُرورِ
فقـد لاقتـك طعنـةُ ذي حِفـاظٍ		كريم البيت ليس بـذي فُجـورِ
لـه فضـلٌ على الأحيـاء طُرّاً		إذا نـابت مُلمَّـاتُ الأُمـورِ[1]

☆ ☆ ☆

وعنـدمـا كان رسـول الله ﷺ في فم الشِّعْب ، خرج علي بن أبي طالب ، حتى ملأ درقته ماء من المِهْراس ، فجـاء بـه إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد لـه ريحـاً ، فعـافـه ، فلم يشرب منـه ، وغسل عن وجهه الدم[2] ، فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب لـه مـاء ، فلم

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٦٩ ، وابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٢ .
(٢) ولما غُسِل جرح النبي زاد دمه ، فأحرقت بعدها فاطمة حصيراً حتى أصبح رماداً ، وكَمَّدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم .

يجد ، فذهب إلى (مياه) ، فأتى منها بماء عذب فشرب رسول الله ﷺ ، ودعا له بخير ، وصبَّ على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه .

فبينا رسول الله ﷺ بالشِّعْب معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل[1] ، فقال رسول الله ﷺ : اللّهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

وصلى رسول الله ﷺ يوم أُحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً[2] .

☆ ☆ ☆

مقتل اليمان وابن وقش :

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد ، رفع حُسَيل بن جابر[3] ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : (ما أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله

---

(١) كانت كوكبة من الخيل ، عليها خالد بن الوليد .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٤٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧١ .

(٣) حسيل بن جابر هو أبو حذيفة بن اليان ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٣ .

لا بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار[١] ، إنما نحن هامة[٢] اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ؟) .

فأخذا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما . فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي ، فقالوا : والله إنْ عرفناه ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدَّق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً .

مقتل قزمان منافقاً :

قال عاصم بن عمر بن قتادة : كان عندنا رجل غريب ، لا ندري ممن هو[٣] ، يقال له : قُزْمَان ، وكان ذا بأس وقوة ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أُحد قاتل قزمان قتالاً شديداً ، وكان يرمي النبال كأنها الرماح ، ثم فعل بالسيف

(١) يُضْرَب لقرب الأجل ، فالظمء مابين الشربتين ، والحمار لا يصبر على العطش .

(٢) الهامة كما تزعم العرب : طائر يخرج من رأس القتيل يصيح : اسقوني اسقوني لا يسكت حتى يؤخذ بثأره .

(٣) أي يظهر الإسلام .

الأفاعيل ، ولما أُخبر ﷺ بذلك قال : إنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، وأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، لأنه كان حليفاً لهم ، فجعل رجال من المسلمين يقولون : والله لقد ابتليت اليوم يا قزمان فأبشر ، فيقول : بماذا أُبشر ، فوالله ما قاتلت إلا على أحساب قومي[1] ولولا ذلك ما قاتلت[2] .

وقال له قتادة رضي الله عنه : هنيئاً لك الشهادة يا أبا الغيداق ، فقال قزمان : إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير إلينا قريش حتى تطأ أرضنا . فلما اشتدت عليه الجراحة ، أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه[3] ، وعند ذلك جاء رجل إلى رسول الله فأخبره بذلك ، فقال ﷺ : « أشهد أنّي رسولُ الله حقاً »[4] .

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أيٌّ ذلك في سبيل الله ؟

---

(١) أي على شرفهم ومفاخرهم ، ومناصرة لهم .

(٢) فلم يقاتل لإعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائهما .

(٣) قطع عروقاً في باطن الذراع يقال لها الزواهق ، وقيل أيضاً : جعل ذباب سيفه في صدره بين ثدييه ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧١ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٣١ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٢ ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ص ١١٢ .

فقال ﷺ : « من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ، وقال : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »[1] .

مَقتَلُ مُخَيرِيق :

وكان ممن قتل يوم أُحد مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطْيَون ، قال لما كان يوم أُحد : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم سبت ، قال : لا سبت لكم ، فأخذ سيفه وَعُدَّته وقال : إن أُصبتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ : مخيريق خير يهود . وجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق ، وكانت سبع حوائط ، أوقافاً بالمدينة لله . فكانت أوَّل وقفٍ بالإسلام[2] .

الأُصَيْرِم « عمرو بن ثابت بن وَقش » :

رَجُلٌ دخلَ الجنَّةَ لم يُصَلِّ قط ، فكيفَ كانَ ذلك ؟!؟

كان أُصَيْرم يأبى الإسلام على قومه ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد ، شرح الله صدره للإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته فغدا

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٨٠ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٧ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٣١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٣ .

حتى دخل في عُرض الناس[1] ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذ هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك ، أم رغبة في الإسلام ؟

قال الأُصيرم : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمت ، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمن أهل الجنة[2] .

عمرو بن الجموح :

كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، فلما كان يوم أُحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال

---

(١) عُرض الناس : جانبهم وناحيتهم .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٣ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٥٤ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٣ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٧ .

ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه وقد أخذ سلاحه وأقبل على القبلة وقال : اللّهم ارزقني الشهادة ولا تردّني خائباً إلى أهلي ، وقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أُقتل ، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : كأنّي أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة[1] واستشهد رضي الله عنه في أُحد .

☆ ☆ ☆

هِندُ تُمَثِّلُ بِحَمْزَة :

ومثّلت هند بنت عتبة ـ والنسوة اللاتي معها ـ بشهداء أُحُد ، يجدعن الآذان والآنفَ ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خَدَماً[2] وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

---

(١) وفي رواية قال ﷺ : « لقد رأيته يطأ في الجنة بعرجتِهِ » ، ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه في أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ، ثم تصير صحيحة في الجنة .

(٢) الخدم : الخلاخيل .

نحن جَـزيْنـاكم بيـومِ بـدرِ والحربُ بعـدَ الحرب ذاتُ سُعْرِ
مـا كان لي عن عُتْبـة مِنْ صبرِ ولا أخي وعمِّـه وبَكرِ
شفيتُ نفسي وقضيتُ نَـذْري شفيتَ وحشيٌّ غليـل صـدري
فشُكْرُ وحشيٌّ عليَّ عُمْري حتى تَرِمَّ أَعْظُمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثَاثة بن عَبَّاد بن المطلب فقالت :

خَـزيتِ في بـدرٍ وبعـدَ بـدرِ يـا بنتَ وقَّـاعٍ عظيم الكُفْرِ
صَبَّحكِ الله غـداةَ الفجرِ م الهـاشميين الطـوالِ الـزُّهرِ[1]
بكلِّ قَطّـاعٍ حُسـامٍ يَفْري حمـزةُ لَيْثي وعليٌّ صَقْري
إذا رامَ شيْبٌ وأبـوكِ غَـدْري فخضَّبـا منـه ضـواحي النحرِ
ونَذْركِ السوءَ فشَرٌّ نَذْرِ[2]

ومرَّ الحليس بن زَبَان ، أخـو بني الحـارث بن عبـد منـاة ، وهـو يـومئـذ سيـد الأحـابيش ، مرَّ بـأبي سفيـان ، وهـو يضرب في شـدق حمزة بن عبد المطلب ، بزج الرمح ، فقال الحليس : يـا بني كنـانـة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه مـا ترون لحمـاً[3] ، فقـال أبو سفيـان :

---

(١) م الهاشميين : أرادت من الهاشميين ، والزُّهر : البيض .

(٢) الأبيات في : ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٦ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٤ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٨ .

(٣) أي ميتاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

ويحك !! اكتمها عني ، فإنها كانت زلة[1] .

وحين أراد أبو سفيان الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال[2] ، وإن الحرب سجال ، مرة لنا ومرة علينا ، يوم أُحد بيوم بدر ، يوم نُسَاء ويوم نُسَر ، حنظلة بحنظلة[3] ، وفلان بفلان .. أُعْلُ هُبَل[4] ، أُعْلُ هُبَل ..

فقال رسول الله ﷺ : قم ياعمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لاسواء[5] ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلمَّ إليّ ياعمر ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : ائته فانظر ماشأنه ، فجاء فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال أبو سفيان : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر[6] .

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله مارضيت ، وماسخطت ، ومانهيت ، وماأمرت ، ولما همَّ بالانصراف ومن معه

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٨ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٧ .
(٢) خطاباً لنفسه وللأزلام التي استقسم بها قبل خروجه من مكة ، ويقصد : بالغنا في فعالنا .
(٣) حنظلة بن أبي سفيان قُتل ببدر ، وقتل حنظلة غسيل الملائكة بأُحد .
(٤) أي زد عُلوّاً ، وأظهر دينك .
(٥) أي نحن وأنتم لسنا سواء ، ولاينبغي لك أن تقول هذا .
(٦) لقول عبد الله بن قمئة : إني قد قتلت محمداً .

نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وقال له : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ومايريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل[1] وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها ، ثم لأُناجزنهم .

قال علي رضي الله عنه : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .

☆ ☆ ☆

لماذا لم يهاجم أَبو سفيان المدينة ؟

لقد فكَّر أبو سفيان في نهب المدينة ، فهذا أَمر يخطر في البال ، مادام جيش المسلمين في أُحُد يعتني بجرحاه ، ويدفن قتلاه ، بعد أن أعاد تجمُّعَه . ولكن صفوان بن أُمية قال : لاتفعلوا ، فإنكم لاتدرون مايغشاكم فيها .

---

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

حقَّق أبو سفيان بعد هزيمة نصراً لم يكن يملك مقومـات تحقيقـه ، ولولا خطأ الرماة ماأحرزه ، فهو ليس بقدرة احتلال المدينة بعد تنظيم جيش المسلمين ، وعندها سيشترك كل من في المـدينـة ـ شيوخـاً ونسـاء وصبياناً ـ في سحق أبي سفيان ومن معه .

لقـد اكتفى المشركـون بقيـادة أبي سفيـان سمعـة بين القبـائـل ، وأعادوا اعتبار قريش بعـد هزيمـة بـدر . فتحقق الهـدف الإعلامي من أُحد .

وعرف أبـو سفيـان أيضـاً قـدرة المسلمين العسكريـة الحقيقيـة ، بدليل .. لما أراد الرجوع إلى حمراء الأسد ـ كما سيمر معنـا ـ وعلم أن النبي ﷺ أعـاد استعـداداتـه وسـار إليـه ، فرَّ أبـو سفيـان ومن معـه ، فرَّ المنتصرون ، فهم على يقين أنهم ليسوا بقدرة المسلمين القتالية .

إن النصر الذي أحرزه أبو سفيان ، أحرزه مغلوب منهزم ، أخطـأ خصمه خطأ واحـداً قرَّر مصير المعركـة لصـالح المنهزم المغلوب ، ولولاه مـاعرف النصر . فـآثر الانسحـاب إلى مكـة ، وعـدم دخول المـدينـة ، حفاظاً على الكسب الذي حقَّقه ، ولم يكن بمقـدوره تحقيقـه لولا خطـأ الرماة المسلمين .

☆ ☆ ☆

بعد أحد

☆ « ادفنوهم حيث صُرِعوا ،
ادفنوهم بدمائهم وثيابهم »[1] .
« رسول الله ﷺ »

سعد بن الربيع « رحمه الله نصح لله ولرسوله حيّاً وميتاً » :

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ : من رجل ينظر لي مافعل سعد بن الربيع ؟ في الأحياء هو أمْ في الأموات ؟ فقال رجل منَ الأنصار ، وهو محمد بن مسلمة[2] : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد . فنادى في القتلى : ياسعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجب أَحد ، قال : ياسعد إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ماصنعت ، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أمْ في الأموات ؟

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٥ .
(٢) أو : « أبي بن كعب » .

قال سعد بن الربيع : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السَّلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ماجزى نبيّاً عن أُمَّته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم :إنَّه لاعذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ﷺ ، ومنكم عين تطرف ، اللهَ ، اللهَ وماعاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، فوالله مالكم عند الله عذر[1] .

ثم لم يبرح محمد بن مسلمة حتى مات سعد ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، فقال ﷺ : « رحمه الله ، نصح لله ولرسوله حيّاً وميتاً » .

دخل رجل على أبي بكر الصديق وبنتٌ لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يقبِّلها ويلاعبها ويلاطفها في حنان ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير مني ، سعد بن الربيع ، كان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أُحُد .

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٤ ، الروض الأُنُف ، جـ ٣ ص ١٧١ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١١٢ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٨ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٨ ، عيون الأثر ، جـ ٢ ص ١٩ .

سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَة :

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بُقِر بطنُهُ عن كبده ، ومُثِّل به ، فَجُدع أنفه وأذناه ، فلما رأى ﷺ ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيَّة ، ويكون سُنَّة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السِّباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأُمثِّلنَّ بثلاثين رجلاً منهم[1] .

وقال ﷺ : رحمة الله عليك ، فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات ، وصولاً للرحم . وبكى رسول الله ﷺ وانتحب حتى شهق ، وقال : ياعم رسول الله ، وأسد الله ، وأسد رسول الله ، ياحمزة يافاعل الخيرات ، ياحمزة ياكاشف الكربات ، ياحمزة ياذاب[2] عن وجه رسول الله[3] .

وقال المسلمون لما رأوا حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعل

---

(١) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦١ وفي الروض الأنزه (مخطوطة) ص ٤ « لأُمثلن بسبعين منهم » .

(٢) الذاب : المانع الدافع ، مختار الصحاح ، ص ٢١٩ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٠ ، وابن هشام ، جـ ٣ ص ٣٩ .

بعمّه : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر ، لنمثِّلن بهم مُثْلَةً لم يمثلها أحد من العرب .

وقال ﷺ وهو واقف أمام جثة حمزة : لن أُصاب بمثلك أبداً[1] ، ماوقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا ، ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله[2] .

وأنزل الله عزَّ وجل في قول رسول الله ﷺ ، وقول أصحابه : ﴿ وَإِن عاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثلِ ماعُوقِبتُم به ، وَلَئِن صبرتم لهو خير للصَّابِرين ، واصْبِر وَمَاصَبْرُكَ إلا باللهِ ، ولاتَحْزَن عليهم ولاتَكُ في ضيقٍ مَّما يمكُرُون ، إنَّ اللهَ مع الذينَ اتقوا والذِين هُم مُحْسِنُون ﴾[3] . فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثْلَةِ[4] . وصار كلما فارق مقاماً أمر بالصَّدقة .

وقال ﷺ لأصحابه : « استووا حتى أُثني على ربي عز وجل ،

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٠ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٩ .

(٢) وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد ، إخوة من الرضاعة ، أرضعتهم ثويبية مولاة لأبي لهب .

(٣) سورة النحل ، الآيات الكريمات : ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ .

(٤) وفي الروض الأنزه ، ص ٤ : « فقال ﷺ : بل نَصْبِر ، وكفَّر عن يمينه » ، المخطوطة .

فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : اللهم لك الحمدُ كلُّه ، اللهم لاقابضَ لما بسطت ، ولاباسط لما قبضتَ ، ولاهاديَ لمن أضللت ، ولامُضلَّ لمن هديت ، ولامُعطيَ لما منعت ، ولامانع لما أعطيت ، ولامقرِّب لما باعدت ولامُبْعد لما قرَّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .

اللهم إني أسألك النعيمَ المقيم الذي لايَحُول ولايزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيْلة ، والأَمنَ يوم الخوف .

اللهم إني عائذٌ بك من شرِّ ماأعطيتنا ، وشرِّ مامنعتنا .

اللهم حَبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفَّنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غيرَ خزايا ولامفتونين .

اللهم قاتِل الكفرة الذين يُكذِّبون رسلك ويصدُّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رِجْزَك وعذابك .

اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب[1] ، إله الحق[2] » .

---

(١) أوتوا الكتاب ولم يأخذوا بأحكامه .

(٢) رواه النسائي ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٧٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣٨ .

وأقبلت صفيَّة بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة ، وكان أخاها لأبيها وأُمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها لاترى مابأخيها ، فقال لها : ياأُمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي ، قالت : وَلِمَ ؟ وقد بلغني أَنْ قد مُثِّل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، قال ﷺ : خَلِّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه ، واسترجعت قائلة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، واستغفرت له . ثم أَمر به رسول الله ﷺ فدفن[1] .

وسجي حمزة بثوب ألقاه عليه رجل من الأَنصار ، ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه ، فقال ﷺ : « ياجابر هذا الثوب لأَبيك » ، وكُفِّن حمزة بنمرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه ، وإن مدوها على رجليه انكشفَ رأسه ، فمدوها على رأسه ، وجعلوا على رجليه الإِذْخِر أو الحَرْمَل[2] .

وجاء في بعض الروايات : « ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجي

---

(١) الروض الأُنزه ، ص ٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٥٢٩ ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ١١٣ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤١ .

(٢) نباتان معروفان في الحجاز . وجابر الذي خاطبه رسول الله ﷺ هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي .

ببردة ثم صلى عليه ، فكبَّر سبع تكبيرات ، ثم أَتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم ، وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة »[١] .

لقد أجمع الفقهاء على ترك غسل الشهيد ، واختلفوا في الصلاة عليه ، والأرجح أن حديث الصلاة هذا لم يثبت ، ولهذا لم يأخذ به فقهاء الحجاز والأوزاعي[٢] .

ودفن مع حمزة في قبر واحد ابن أخته عبد الله بن جحش[٣] ، وكان قد مثِّل به ، غير أنه لم يبقر بطنه .

وذكر سعد بن أبي وقاص أنه هو وعبد الله بن جحش دَعَيا بدعوة فاستُجيبت لهما ، فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين شديداً بأسه ، شديداً حرده[٤] ، فيقتله ، ويأخذ سلبه . فقال عبد الله آمين .

ثم استقبل عبد الله القبلة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم

---

(١) وهذا غريب وسنده ضعيف كما يذكر ابن كثير في السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ٨٠ ، تفرَّد به الإمام أحمد ، وضعفه في سنده من جهة عطاء بن السائب .

(٢) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٤ ، وفي الروض الأنزه ، ص ٥ ، جاء : « ولم يصلِّ عليه ﷺ كما هو الأثبت » . وراجع : البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٠ ، والروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٧٩ ، وفي ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٦ : « ولم يصلِّ النبي على الشهداء » .

(٣) أمه أُمية بنت عبد المطلب ، فحمزة خاله .

(٤) الحَرَد : الغضب ، مختار الصحاح ص ١٢٩ .

لقني اليوم فارساً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، يقتلني ويجدع أنفي وأُذني ، فإذا لقيتك غداً تقول لي : ياعبدي : فيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وأُذناك ؟ فأقول : فيك يارب وفي رسولك ، فتقول لي : صدقت ، قل ياسعد : آمين ، قال سعد : فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مجدوع الأنف والأُذنين ، ولقيت أنا فارساً من المشركين فقتلته ، وأخذت سلبه[1] .

☆ ☆ ☆

مَاوَرَدَ في شهداءِ أُحُد :

☆ ﴿ ولاتحسبنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيل الله أَمواتاً بل أَحياءٌ عند ربهم يُرزقون ﴾[2] .

عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هذه الآية ، فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطّلع الله عز وجل عليهم اطلاعه

---

(١) قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ، وسمي عبد الله رضي الله عنه (المُجدَّع في الله) بعد جدع أنفه وأُذنيه ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٦٩ .

فيقول : ياعبادي ، ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ماأعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! « يُسألون ويجيبون ثلاثاً » ثم يقولون : إلا أَنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم نُرَدّ إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أُخرى[1] .

ونظر رسول الله ﷺ إلى جابر بن عبد الله وقال : « مالي أراك مُهْتَماً ؟ قال : قلت : يارسول الله قُتِل أَبي وترك دَيْناً وعيالاً[2] ، فقال : ألا أُخبرك ؟ ماكلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كَلَّم أباك كِفَاحاً ، وقال له : ياعبدي سَلْني أُعطك ، فقال : أسألك أن تردَّني إلى الدنيا فأُقْتَل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق مني القول : أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله : ﴿ ولاتحسَبنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون ﴾ » .

وقال ﷺ في قتلى أُحد : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، أنه ما من جريح يُجْرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحه ،

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٨ . السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٦٨ .

(٢) قال جابر : لما حضر أُحُد ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ماأراني إلا مقتولاً في أول من يُقْتَل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإني لاأترك بعدي أعزَّ علي منك غيرَ نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليَّ دَيناً فاقضِ واستوص بأخواتك خيراً ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٧ .

اللون لونُ دم ، والريح ريح مسك » .

وأمر رسـول الله ﷺ بنزع الحـديـد والجلـود عنهم ، وقـال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم ، ادفنوهم حيث صُرعوا »[1] .

وقـال ﷺ : « احفروا وأوسعوا ، واجعلـوا الرَّجلين والثـلاثـة في القبر الـواحـد ، قيـل : يـا رسـول الله فـأيُّهم يُقـدَّم ؟ قـال : أكثرهم قرآناً » . وفي رواية : « انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر ، انظروا إلى عمرو بن الجموح ، وعبـد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد[2] » .

وكان قـد احتمـل نـاس من المسلمين قتـلاهم إلى المـدينـة ، وأرسـل بعضهم ناضحاً[3] ليحمل شهيداً إلى المدينة ، فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يُدْفَن إلا مع إخوته » ، أي حيث صُرِع .

وروى البيهقي عن أبي هريرة قـال : كان النبي ﷺ يـأتي قبـور الشهداء ، فإذا أتى فَرْضـة الشِّعب قـال : « السلام عليكم بمـا صبرتم فنعم

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٥ .

(٢) جاء في (الروض الأنـزه ، ص ٥) : ودفن حمـزة وعبـد الله بن جحش ومصعب بن عمير في قبر واحد .

(٣) الناضح : البعير ، (مختار الصحاح ، ص ٦٦٤) .

عُقْبى الدار » ، ثم كان أبو بكر بعـد النبي ﷺ يفعلـه ، وكان عمر بعـد أبي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله[1] .

☆ ☆ ☆

العَودَة إلى المَدينَة المنوّرة :

ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، كانت حَمْنَةُ بنت جحش على مشارفها ، فلما لقيهـا النـاس نعوا إليهـا أخـاهـا عبـد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعي لها خـالهـا حمزة بن عبـد المطلب ، فـاسترجعت واستغفرت لـه ، ثم نعي لهـا زوجهـا مصعب بن عمير ، فصـاحت وولـولت ! فقـال رسـول الله ﷺ : إن زوج المرأة منهـا لبمكان ، لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجهـا ، ثم قال لها : لِمَ قلت هذا ؟! قالت : تذكرت يتم بنيه فراعني ، فدعا لها ﷺ أن يحسن الله تعالى عليهم الخلف ، فتزوَّجت طلحة بن عبيد الله ، فكان أوصل الناس لولدها ، وولدت له محمد بن طلحة[2] .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٨٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٧ ، وطلحة بن عبيد الله من العشرة المبشَّرين بالجنة ، وماضيـه في الإسلام عريـق ، اتقى النبـل في أُحـد عن رسـول الله بيـده ، حتى شُلَّت إصبعـه ، قـال أبـو بكر الصديق : (ذاك يوم طلحـة) ، ونزفـه يوم أُحـد الـدم حتى غشي عليـه ، ونفخ أبو بكر المـاء في وجهـه حتى أفـاق ، فقـال : مـا فعل رسول الله ﷺ ؟ قـال لـه أبو بكر : هو بخير ، وهو أرسلني إليك ، فقال : الحمد لله ، كل مصيبة بعده جَلَل ، أي قليلة ، إنه : طلحة الخير ، طلحة الفيَّاض .

وجـاءت أم سعـد بن معـاذ تعـدو نحـو رسـول الله ﷺ وهـو على فرسه ، وسعد بن معاذ آخذ بلجامهـا ، فقـال لـه سعـد : يـا رسول الله أمّي ، فقال ﷺ : مرحباً بها ، فوقف لها ، فـدنت حتى تـأملت رسول الله ﷺ فعزّاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ ، فقالت : أمـا إذا رأيتك سالماً فقد اشتويت المصيبـة ـ أي استقللتهـا ـ ، ودعـا رسول الله ﷺ لأهل من قُتِل بأُحد ، بعد أن قال لأُم سعد : يا أُم سعـد أبشري ، وبشِّري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنـة جميعـاً ، وقـد شفعـوا في أهلهم جميعاً ، قالت : رضينا يا رسول الله ، ومَنْ يبكي عليهم بعد هذا ؟ ، ثم قـالت : يـا رسول الله ، ادع لمن خلفوا ، فقـال : « اللّهم أذهب حـزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا » .

ومرَّ ﷺ بـامرأة من بني دينـار ، وقـد أُصيب زوجهـا وأخـوهـا وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد ، فلما نُعُوا لهـا قـالت : فمـا فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، قـالت : كل مصيبـة بعدك جلل[1] .

---

(١) جلـل : تريـد صغيرة ، وجـاء في السيرة الحلبيـة ، جـ ٢ ص ٢٦٥ : قـالت : أرونيـه حتى أنظر إليه ، فلما رأته ﷺ قـالت : كل مصيبـة بعـدك جلل ، ولم تكترث بمقتل أخيهـا وأبيهـا وزوجهـا وابنها ، حتى جاءت رسول الله ﷺ وأخذت بناحية ثوبه ، ثم جعلت تقول : بـأبي أنت وأُمي يـا رسول الله ، لا أُبالي إذ سلمت من عطب ، واسم المرأة : (أُم عامر الأشهلية) على الأغلب .

وسمع ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن وإخوانهن ، فقال بعد أن ذرفت عيناه : لكن حمزة لا بواكي له ، فأمر سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير نساء من قومهما أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة[1] .

ونزل ﷺ عن فرسه مستنداً على السَّعدين ، ودخل بيته ، ولما أذن بلال لصلاة المغرب ، خرج ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السَّعدين ، فصلى ﷺ ، فلما رجع من المسجد سمع البكاء ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين حمزة ، فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن ، وقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن ، ونهى يومئذ عن النوح[2] .

وباتت وجوه الأنصار تلك الليلة على بابه ﷺ بسالمسجد يحرسونه ، خوفاً من أي طارئ ، أو تحسباً من أن ترسل قريش عيناً ، أو رجلاً مأجوراً ليقتل رسول الله ﷺ ، كما فعلت بعد بدر .

☆ ☆ ☆

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ٢٦٨ .

(٢) لم ينهَ عن البكاء ، ولكنه نهى ﷺ : « إن فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعراً ولا يشققن جيباً » .

غسل السيوف:

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ، ناول سيفه (ذو الفقار) إلى ابنته فاطمة ، وقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنيَّة ، فوالله لقد صدقني اليوم . وناولها علي رضي الله عنه سيفه فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وقال رضي الله عنه :

أَفَاطِمُ هاتي السيف غير ذميمِ فلستُ برعديدٍ ولا بلئيمِ[1]

فقال ﷺ : لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدق معك سهل بن حنيف[2] وأبو دجانة .

---

(١) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٧٦ .

(٢) سهل بن حنيف : كان مشهوراً بالرماية ، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ في أُحُد ، وبايعه على الموت ، ولما انكشف الناس ، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ ، ويقول ﷺ : انبلوا سهلاً ، أي أعطوه نبلاً . (السيرة النبوية والآثارِ المحمدية ، جـ ٢ ص ٤٣) .

غزوة حمراء الأسد

الأحد ١٦ من شوال ٣ هـ

☆ لقد كان رسول الله ﷺ بارعاً في علم النفس ، فحفظ معنويات جنوده مرتفعة عالية ، قال ﷺ : « لايصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا »[(١)] .

وفي يوم الأحد السادس عشر من شوال ، السنة الثالثة للهجرة ، أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأن لايخرجنَّ معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس[(٢)] .

وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام : يارسول الله ، إن أبي كان خلَّفني على أخوات لي سبع ، وقال : يابني ، إنه لاينبغي لي ولالك أن نترك هؤلاء النسوة لارجل فيهن ، ولست بالذي أُوثرك

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ٩٤ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٧ ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٧ .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٤ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٩ وفي السيرة النبوية لابن كثير : فقال عبد الله بن أُبي بن سلول : أنا راكب معك ، فقال رسول الله ﷺ : لا .

بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّف على أخواتك ، فتخلَّفتُ عليهن ، فأَذِنَ له رسول الله ﷺ ، فخرج معه[1] .

سَبَبُ حَمْراء الأسَد :

خرج رسول الله ﷺ والمسلون في طلب أبي سفيان والمشركين ، إرهاباً لهم ، وليظنوا أن بهم قوة ، وأن الذي أصابهم في أُحُد لم يوهنهم عن عدوهم[2] .

وتلاوم المشركون ، وقال بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكة القوم وحدَّهم ، ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغن منهم .

أمام هذا الواقع ، وعلى ما في المسلمين من قروح ، أمر رسول الله ﷺ بطلب العدو ليسمعوا بذلك ، وليعلموا أن بالمسلمين قوة تقف في وجههم ، وأن انتصار المغلوب ، سينهار مع الزمن القريب .

وشهد رجل من بني عبد الأشهل ـ مع أخيه ـ أُحُداً مع رسول الله

---

(١) ومرَّ معنا استشهاد أبيه في أُحد ، ومكانته بين الشهداء .

(٢) قال ابن سعد : « ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحل ـ أي لم يحل بعد أُحُد ـ فدفعه إلى علي بن أبي طالب » عيون الأثر ، جـ ٢ ص ٣٨ .

ﷺ ، ورجعا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو . فقال لأخيه : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟! والله مالنا من دابة نركبها ، ومامنا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان إذا غلب حملته عُقْبَة[1] ، ومشى عُقْبة ، حتى انتهينا إلى ماانتهى إليه المسلمون .

فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

☆ ☆ ☆

مَعبدُ بن أبي مَعبد الخزَاعي

ومرَّ معبد بن أبي معبد الخزاعي بالمسلمين ، وكانت خِزاعة ـ مسلمهم ومشركهم ـ مكمن سرِّ رسول الله ﷺ بتهامة ، لايخفون عنه شيئاً كان بها ، شعورهم وميلهم مع رسول الله ﷺ ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يامحمد ، أما والله لقد عز علينا ماأصابك ، ولوددنا أنَّ الله عافاك فيهم .

ثم خرج معبد ورسول الله ﷺ بحمراء الأَسد ، حتى لقي أبا

---

(١) عُقبة : بوزن غُلْبة : النَّوبة .

سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء[1] ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدَّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكُرنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرَّقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلَّف عنه في يومكم ، وندموا على ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال أبو سفيان : ويحك ! ماتقول ؟ قال معبد : والله ماأرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل . قال أبو سفيان : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال معبد : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني مارأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر ، قال : وماقلت ؟ قال معبد : قلت :

كادَتْ تُهدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[2]

تردي بأُسْدٍ كرام لاتَنَابلةٍ ... عند اللقاء ولا ميلٍ معازيلِ[3]

---

(١) الرَّوْحاء : اسم لموضع بين مكة والمدينة ، قال ياقوت : « الروح والراحة من الاستراحة ، ويوم روح أي طيب » ، معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٧٦ والروحاء فج واسع يقع على طريق المدينة - مكة ، على مقربة من حمراء الأسد .

(٢) الجرد : عتاق الخيل ، والأبابيل : الجماعات .

(٣) تردي : تسرع ، والتنابلة : القصار ، والميل : الذين لارماح معهم ، والمعازيل : العُزَّل من السلاح .

فظلت عَدْواً أظنُّ الأرضَ مائلةً   لـمَّـا سَمَـوا برئيسٍ غير مخـذولِ
فقلت ويـل ابن حرب من لقــائكمُ   إذا تَغَطْمَطَتِ[1] البطحـاءُ بـالجيـلِ[2]
إني نذيرٌ لأَهلِ البَسْل[3] ضاحيـةً   لكل ذي إربـةٍ منهم ومعقـولِ
من جيش أحمد لاوَخْشٌ[4] تنابلة   وليس يوصف ماأنـذرتُ بـالقيلِ

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه[5] .

ومرَّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس ، فقـال : أين تريـدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولِمَ ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلِّغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمِّل لكم إبلكم هـذه غـداً زبيبـاً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قـد أَجمعنا السيرَ إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم[6] .

فمر الركبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه[7] بالذي

---

(١) تغطمطت : اهتزت .

(٢) الجيل : الصنف من الناس .

(٣) أهل البسل : قريش ، والضاحية : الظاهرة للشمس ، والإربة : العقل .

(٤) الوخش : الرديء ، رذلة الناس .

(٥) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، جـ ٣ ص ١٠٠ .

(٦) الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٨١ ، ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٥ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٧ .

(٧) في الروض الأُنف ، جـ ٣ ص ١٨١ : « وكان الموصل مقالته للمؤمنين نُعيم بن مسعود » .

قال أبو سفيان ، فقال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

ومن أسباب عودة أبي سفيان وانسحابه إلى مكة ، قول صفوان بن أُمية لقريش : لاتفعلوا ، فإن القوم قد حربوا[1] ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال رسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همُّوا بالرَّجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوِّمت لهم حجارة ، لو صُبِّحوا بها ، لكانوا كأمس الذاهب »[2] .

وفي حمراء الأسد ، كان المسلمون يوقدون تلك الليالي ـ الاثنين والثلاثاء والأربعاء ـ خمسمائة نار ، حتى تُرى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل جهة[3] . وأظهرت هذه النيران أن المسلمين أُلوف مؤلفة ، وأن عددهم كبير جداً .



---

(١) حربوا : غضبوا .

(٢) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٤٦ .

(٣) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٧ .

أبو عَزّة الجُمَحي الشاعر :

☆ « المؤمن لا يُلْدَغ من جُحْرٍ مرتين » .
لقد جعل ﷺ التجربة قريناً للإيمان .

وظفر ﷺ بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ، وكان قد أسره ببدر ، ثم مَنَّ عليه من غير فداء لأجل بناته ، وكان شاعراً يشتغل بسب النبي ﷺ وهجاء أصحابه ، ويستنفر الناس للقتال ، وكان عاهد النبي ﷺ بعد بدر على أن لا يعود إلى شيء من ذلك ، فلما مَنَّ عليه وأطلقه ، رجع إلى مكة ونقض العهد ، واشتغل بما كان مشتغلاً به قبل من السَبِّ والهجاء ، فلما كان يوم أُحُد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال ، فلما نزل المشركون بحمراء الأَسد نزل معهم ، ثم ساروا وتركوه نائماً ، فأدركه المسلمون وأسروه ، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، فلما ظفر به ﷺ قال : يارسول الله أقلني وامنن علي ودعني لبناتي ، وأُعاهدك أن لاأعود ، فقال ﷺ : « لا والله لاتمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، إن المؤمن لايُلْدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه ياعاصم بن ثابت » ؛ فضرب عنقه[1] .

☆ ☆ ☆

(١) اعتمدنا رواية السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٩ ، والبداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤٦ .

وظفر ﷺ أيضا بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان ، أبو أُمه عائشة ، فأمر بقتله ، وخلاصة قصته ، أنه لما رجع المشركون من أُحُد ، ذهب على وجهه ، ثم أَتَى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فدقَّه ، فقالت أُم كلثوم بنت رسول الله ﷺ : من أنت ؟ قال : ابن عم عثمان ، فقالت : ليس هو هنا ، فقال : أرسلي إليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه . فجاء عثمان رضي الله عنه ، فلما نظر إليه قال : أهلكتني وأهلكت نفسك ، فقال : يابن عم ، لم يكن أحد أمس بي منك فأجرني . فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله ، وجعله في ناحية ، ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، فسمع رسول الله ﷺ يقول : إن معاوية بالمدينة فاطلبوه ، فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت إليهم أُم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان ، بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ أَمرهم بذلك ، فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ ، فأمر بقتله ، فقال عثمان رضي الله عنه : والذي بعثك بالحق ماجئت إلا لآخذ له أماناً ، فهبه لي ، فوهبه له وأجله ثلاثاً ، وأقسم أنه إن وجده بعدها قتله .

وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثاً ليستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً ، فلما كان في اليوم الرابع ، عاد

رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فخرج معاوية هارباً ، فقال ﷺ : إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه ، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقتلاه[1] .

☆ ☆ ☆

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان لعبد الله بن أُبي بن سلول مقام يقومه كل جمعة لاينكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزِّروه[2] ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس . حتى إذا صنع يوم أُحُد ماصنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ماصنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجراً[3] أن قمت أشدد أمره ، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك !! قال : قمت أشدد أمره ، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ،

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ٢ ص ٧٨ .

(٢) عزِّروه : عظموه .

(٣) البجر : الأمر العظيم ، والبجاري : الدواهي .

لكأنما قلت بجراً أن قمت أُشدد أمره ، قال الأنصاري : ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ماأبتغي أن يستغفر لي .

لقد كان يوم أُحُد ، يومَ بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .



ما أنزل الله في أحد من القرآن الكريم

☆ قال المسور بن مخرمة لعبد الرحمن بن عوف : « أخبرني عن قصتكم يوم أُحد ، قال : اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ .

أنزل الله ستين آية فيها صفة ماكان في يوم أُحد ، وهي أواخر سورة آل عمران[1] .

﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم ﴾[2] ، أي سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون . ﴿ إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ أي تتخاذلا ، والطائفتان هما : بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، يقول تعالى : ﴿ والله وليهما ﴾ أي المدافع عنهما ماهمتا به من فشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما ، فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته ، حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ، ولحقتا بنبيهما ﷺ .

---

(١) من الآية الكريمة : ١٢٠ ، حتى آخر السورة الآية الكريمة : ٢٠٠ .

(٢) سنورد هنا بعض الآيات .

وقالت الطائفتان : مانحب أنا لم نهم بما هممنا به ، لتولي الله إيانا في ذلك .

ثم ذكر عز وجل سبب المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ، ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ أي نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص ، ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين ﴾ ، أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ، ﴿ والله لايحب الظالمين ﴾ ، أي المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرّة على المعصية ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ أي يختبر الذين آمنوا ، ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ ، أي يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ماليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به .

ثم قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ﴾ فدخول الجنة يكون بعد اختبار بالشدة ، وابتلاء بالمكاره . ﴿ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ ، ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ ، ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ﴾ .

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبُّون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة[1] ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ ، أي : وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسُّونهم بالسيوف ، أي القتل ، بإذني وتسليطي أيديكم عليهم ، وكفي أيديهم عنكم .

﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ﴾ أي : اختلفتم في أمري ، وتركتم أمر نبيِّكم ، وما عهد إليكم ، يعني الرماة ﴿ وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ أي الفتح ، وهزيمة العدو ، ﴿ منكم من يريد

---

(١) قال ابن عباس : (هو عبد الله بن جبير الذي كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألاّ يخالفوا أمر نبيِّهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهد واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة) ، الروض الأنف ، جـ ٣ ص ١٩٤ .

الدنيا ﴾ الذين أرادوا الغنائم وتركوا ما أُمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ، ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ ، الذين جاهدوا في الله ، ولم يخالفوا ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، رجاء ما عند الله عز وجل من حسن ثوابه في الآخرة .

﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أَحد ، والرسول يدعوكُم في أُخراكم ، فأثابكم غماً بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ أي كرباً بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال : قُتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غماً بغم ، ﴿ والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أَهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ ، ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ﴾ ، فأنزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، والله لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم ذكر سبحانه وتعالى المصيبة التي أصابتهم ، فقال : ﴿ أو لـمَّا

أصـابتكم مصيبـة قـد أصبتم مثليهـا قلتم : أنَّى هـذا ؟ قـل هـو من عنـد أنفسكم ، إن الله على كل شيء قـدير ﴾ ، إن تـك أصـابتكم مصيبـة في إخوانكم بذنوبكم ، فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، في اليوم الذي كان قبله ببدر ، قتلاً وأَسْراً ، ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم بـه نبيكم . ﴿ وما أصـابكم يوم التقى الجمعـان فبـإذن الله ، وليعلم المؤمنين ﴾ ، إن مـا أصـابكم حين التقيتم أنتم وعـدوكم فبـإذني ، كان ذلـك حين فعلتم مـا فعلتم بعـد أن جـاءكم نصري ، وصـدقتكم وعـدي ، ليميز بين المؤمنين والمنافقين ﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴾ منكم ، وليظهر مـا فيهم ، ﴿ وقيل لهم تعـالوا قـاتلـوا في سبيـل الله أو ادفعـوا ﴾ يعني عبـد الله بن أُبيّ بن سلول وأصحابه الـذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سـار إلى عـدوه من المشركين بـأُحـد ، وقـولهم : « لـو نعلم أنكم تقـاتلـون لسرنـا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكنا لا نظن أنه يكون قتـال » فـأظهر منهم مـا كانوا يخفون في أنفسهم ، يقول عـز وجـل : ﴿ هم للكفر يـومئـذ أقرب منهم للإيمـان ، يقولون بـأفـواههم مـا ليس في قلـوبهم ﴾ فهم يظهرون لـك الإيمان وليس في قلوبهم منه شيء ﴿ والله أعلم بما يكتمون ، الذين قـالوا لإخوانهم ﴾ الذين أُصيبوا معكم من عشـائرهم وقومهم : ﴿ لو أطـاعونـا ما قُتِلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ ، فلا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، لقد نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، حرصاً على البقاء في الدنيا ، وفراراً من الموت .

ثم قـال عـز وجـل ، يرغِّب المـؤمنين في الجهـاد ، ويهـون عليهم الموت : ﴿ ولا تحسبن الـذين قتلوا في سبيل الله أمواتـاً بل أحيـاء عنـد ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بـالـذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، فالذين قتلوا في سبيـل الله أحيـاء عنـد ربهم يرزقـون في نعيم الجنـة وفضلهـا ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه[1] .

وأنزل عز وجل بالـذين استجـابوا لله ولرسولـه على الـذي بهم من البـلاء ، وانطلقـوا إلى حمراء الأسـد يحملـون جراحـاتهم : ﴿ الـذين استجـابوا لله والرسول من بعـد مـا أصـابهم القرح للـذين أحسنـوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ .

﴿ الذين قال لهم الناس إن النـاس قـد جمعوا لكم فـاخشوهم فزادهم إيمـانـاً ، وقـالوا : حسبنـا الله ونعم الوكيـل ، فـانقلبـوا بنعمـة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

وكانت آخر آية في سورة آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .



(١) تفسير الآيات في ابن هشام ، جـ ٣ ، من ص ٤٧ إلى ص ٥٧ .

خاتمة
نتائج أُحُد

☆ « مما لا شك فيه أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقّق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطة ، وصار الأمر فوضى وخسراناً » .

☆ استشهد من المسلمين يوم أُحُد سبعون[1] ، قال تعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مِثْليها .. ﴾ ، أي إن المسلمين قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، مثلي ما أُصيب منهم يوم أُحُد .

وجرح منهم مائة وخمسون .

وتذكر الروايات التاريخية أنه قُتِل من المشركين ثلاثة وعشرون فقط[2] ، وهذا الرقم فيه نظر ، فقد جاء أن علياً وطلحة وأبا دجانة ..

---

(١) أربعة من الشهداء من المهاجرين ، وهم : حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وشمّاس بن عثمان ، وستة وستون من الأنصار ، راجع أسماءهم جميعاً بعد هذه الخاتمة .

(٢) وجرح من قريش خمسون .

قتل كل واحد منهم ثمانية أو تسعة من المشركين ، وقتل حمزة وحده واحداً وثلاثين !؟! ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأحد احتمالين :

١ ـ إما أن قريشاً حملت بعض قتلاها .

٢ ـ وإما أنها دفنت بعضهم . وهذا مالم يذكره المؤرخون .

☆ وأظهر أعداء الإسلام بعد أُحُد شماتتهم ، وقالوا أقبح القول .

فأُحُد هزّة عنيفة حاول المسلمون أن يتماسكوا بعدها ، واستطاعوا تحقيق ذلك بعد يوم واحد فقط ، ولكن القبائل حول المدينة حاولت استغلالها والانقضاض على المسلمين ، والغدر بهم ، ففشلوا .

قال اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أُصيب منه ما أُصيب ، ولكنه طالب مُلْك ، تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون : ما محمد إلا طالب مُلْك ، ما أُصيب بمثل هذا نبيٌّ قط ، أُصيب في بدنه ، وأُصيب في أصحابه ، ولو كان من قُتِلَ معه عندنا ما قتل . فاستأذن عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ في قتل هؤلاء المنافقين ، فقال ﷺ : أَليسوا يظهرون الشهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ؟ قال عمر : بلى ، ولكن تعوُّذاً من السيف وقد بان أمرهم ، وأبدى الله أضغانهم ، فقال ﷺ : نُهِيتُ عن قتل من أظهر ذلك .

لقد أساء المنافقون قبل أُحُد وبعدها . أَساؤوا بعدها بدَعاوتهم المُضَلِّلة ، وأساؤوا قبلها عند انسحابهم ، فشقُّوا بذلك الصفوف ، وأضعفوا القوى . ومع ذلك ما ظهر من رسول الله ﷺ إلا كل صبر وحلم وأناة على الرغم من نفاقهم ودعاواتهم . ولكنه ﷺ قال عند انسحابهم : « إنها طيبة ، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة » ، فمثل أحداث أُحد ، عملية فرز تطهِّر المجتمع ، ليبقى صافياً نقيّاً نظيفاً .

☆ ولقد جرت حكمة الله عز وجل أن الرسل تبتلى ، ثم تكون العاقبة لهم ، ولو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ، ولما تميَّز الصادق من غيره ، فاقتضت الحكمة الجمع بين النصر وتأخيره ليتميَّز الصادق من الكاذب .

ولو قطع الله كل يد امتدت إلى رسول الله في حينه ، لما بقي إسلام بعده ، فلا صبر لداعية ، ولا تحمُّل لمسلم ، ولقيل : إن الله لم ينتصر لنا كما انتصر لنبيِّه ، فتحمُّلهُ ﷺ أُسوة وقدوة لتحمل الدعاة المجاهدين من بعده ، فتأخير النصر في بعض المواطن حكمة ، فهو لتربية النفوس ، ولكسر شموخها وتعاظمها ، فلما كان الابتلاء والامتحان ، صبر المؤمنون ، وجزع المنافقون .

كما أن أَجْر كلّ نبيّ في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقَّة

الحاصلة له من المخالفين له ، وعلى قدر ما يقاسيه منهم ، وله أجر الهداية لمن أطاعه أيضاً ، ولا أحد أكثر من نبينا ﷺ في ذلك ، فلم يتّفق لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له ﷺ من كثرة ما قاساه من قومه ، ومن ثم بعد الصبر والجهاد ، من كثرة ما أجابه من الأُمم .

☆ كما هيّأ الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الصادقين منازل في دار كرامته ، فقيض لهم أسباب الابتلاء ، ليصلوا إليها ، بفضله ومنّته أولاً ، وبصبرهم وجهادهم واستشهادهم ثانياً .

فالشهادة من أعلى مراتب المؤمنين المخلصين الصادقين ، فساقهم الله إليها إكراماً لهم ، حيث اتخذ منهم شهداء ، وكانوا يتمنّون ذلك قبل لقاء العدو .

☆ وكان ما حدث بعد مخالفة الرماة ، كافياً بعد التفاف خالد بن الوليد بفرسانه[1] ، لإفناء جيش كامل ، وتحطيم كل قواته وعتاده ، ولكن انسحاب النبي ﷺ ببراعة إلى شِعْب أُحُد ، حنكة حربية ، وتقدير للموقف دقيق ، مع سرعة في اتخاذ القرار الصحيح في الوقت

---

(١) لم يوضح المؤرخون أن تصرف خالد بن الوليد بأمر من أبي سفيان لكونه القائد العام المُخَطِّط ، أمْ بمبادرة شخصية من فكره العسكري ، والأرجح أن خالداً تصرف من ذاته ، وحسب تقديره هو للموقف .

المناسب ، مع السيطرة التامة على سير الأحداث ، وبـذلـك تجنَّب ﷺ خطر الإفناء الكامل لقواته .

لقد كان رسول الله ﷺ وهو في أشد ساعات الحرج في أُحُد ، مثال الاتزان والهدوء ، والنظرة الصحيحة الثاقبة البعيـدة المـدى ، مع القرار السريع ، الذي يحمل في ثناياه الحكمة التامة .

لقد كان مصير الجيش بعد التطويق الإفناء لا محالة ، وبخاصة بعد أن أحدث التطويق ارتباكاً حتى فقد المسلمون قدرة التمييز بين الصـديق والعـدو ، فقتل بعضهم بعضـاً ، فـاستطـاع ﷺ أن يجعل الخسـارة أقل مـا يكون ، ففـكَّ طوق الحصـار ، وأَمَّن سـلامـة الجنـد ، مـع العلم أن المشركين المطوِّقين ، كانوا خمسة أمثال المسلمين المطوَّقين .

☆ ولم يخطر بباله ﷺ لحظة أن أُحُـداً قـد رسمت مصير دعوتـه في المستقبل ، بل هو على يقين أنها صورة عارضـة ، سرعـان مـا تتلاشى ، فقال ﷺ لعلي رضي الله عنه : « لن ينالوا منا حتى يفتح الله علينا » . فمع ما في القول من أهمية النبوءة واستشفاف الغيب ، وقلنـا : إن نبوءة واحدة ، يأتي الواقع خلافاً لها ، كافيـة لتنفي النبوَّة كلهـا ، فلو لم يكن محمد بن عبد الله رسول الله حقاً وصدقاً ، لما ألزم نفسـه ﷺ بمثل هـذه النبوءات ، ولكنه رسول الله حقاً ويقينـاً ، ولا ينطق عن الهوى . وفي رباطة جأشه ﷺ ، وفي هـدوء أعصـابـه ، وفي صموده وثبـاتـه ، درس

عظيم للمسلمين ، فهو دليل على مبلغ ثقته بالله ، ويقينه أن العاقبة للتقوى .

وكانت حمراء الأسد ، بأمره ﷺ ، مناورةً عسكرية رائعة وبارعة ، أعادت الروح المعنوية الرفيعة العالية للمسلمين ، وأعادت هيبتهم ومكانتهم بين القبائل بعد ما سمعوا بأُحُد . فقنع زعيم قريش أبو سفيان من أُحد بغنيمة العودة إلى مكة فرحاً بسمعة الفوز والغلبة ، مع اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان إفناؤهم أمراً سهلاً ، يمكن تحقيقه ، لو امتلك أبو سفيان خبرة عسكرية ، وحنكة حربية .

☆ ☆ ☆

يقول كارل بروكلمان في (تاريخ الشعوب الإسلامية) ، ص ٥٢ : « وكان على محمد أن يعوِّض هذه الخسارة التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر ، ففكَّر في القضاء على اليهود ، فهاجم بني النضير ، لسبب واهٍ ، وحاصرهم في حَيِّهم ، وإذ لم يجرؤ إخوانهم في الدين من بني قريظة ، على أن يسعفوهم ، فقد اضطروا إلى الاستسلام بعد حصار دام بضعة أسابيع ، ثم إنهم هاجروا إلى واحة خيبر ، التي تقع على مسافة عشرين ميلاً شمالي المدينة ، والتي كانت تنزل فيها جالية كبيرة من اليهود » .

وهذا قول كله افتراء ومخالفة للحقيقة التاريخية :

لقد كانت مهاجمة بني النضير حلقة في سلسلة حروب المسلمين ضد اليهود ، ذلك لأن اليهود كانوا يتجسَّسُون للمشركين ، وكانوا يساعدونهم على قتال المسلمين ، مع أن بينهم وبين الرسول معاهدات على لزوم الحياد ، فلما كانوا يخرقون هذا الحياد مرة بعد مرة ، فقد أراد الرسول أن يجليهم عن مساكنهم حتى يأمن كل شر منهم في المستقبل .



وأخيراً ..

مما لا شك فيه ، أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، قديمها وحديثها ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقِّق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطة ، وصار الأمر فوضى وخسراناً .

وهذا ما حدث في أُحُد ، فقد خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ ، وهو القائد الأعلى ، وخرجوا على أميرهم عبد الله بن جبير وهو قائد كتيبتهم ، واندفعوا مع رغباتهم في حيازة الغنائم ، ففسدت بذلك الخطة التي وضعها القائد ، ورتَّب خطواتها على أساس الطاعة التامة من الجنود ، فكانت مخالفة الجنود سبباً في فساد الخطة ، وكان فساد الخطة

سبباً في اضطراب الجيش ، وكان اضطراب الجيش سبباً في تحوّل النصر إلى هزيمة ، وقد أوشكت هذه الهزيمة أن تكون ساحقة لولا رعاية الله ولطفه[1] .

☆ ما الذي دفع الرماة إلى هذه المخالفة التي خرقت الخطة العسكرية ، وأوقعتهم في الهزيمة ؟

- أهو الخروج على طاعة القائد ؟

- أمْ هو الحرص على اغتنام الغنائم وجمع الأسلاب ؟

- أمْ هو خطأ التقدير لظروف المعركة وملابساتها ؟

إنهم تأوّلوا قول رسول الله ﷺ حين رأوا الأعداء منهزمين ، وإخوانهم يجمعون الغنائم ، فلا بأس من مغادرة المواقع والاشتراك في جمع الغنائم ، فأراد الله أن يدرك المؤمنون سُنَّةً من سننه في خلقه ، أن النصر لا يكون إلا بأسبابه ، وأن الهزيمة لها أسبابها أيضاً ، حتى لو كان رسول الله بين الصحابة في المعركة .

وهذا يدل بوضوح على أن صلاح العقيدة وحده غير كاف لتحقيق النصر ، فللنصر نواميسه وأسبابه ، وأن الأخذ بهذه الأسباب من صلاح هذه العقيدة .. إن منهج الله ثابت ، وموازينه ثابتة .

---

(١) صور من حياة الرسول ، ص ٣٦٩ وما بعدها .

« لقد ربّى الله الجماعة الإسلامية في هزيمة أُحد العسكريـة ، وهي في مطلع خطواتها لقيادة البشريـة ، ربَّاهـا بـالابتلاء بـالشـدة ، بعـد الابتلاء بالرخـاء ، والابتلاء بـالهزيمـة المرَّة بعـد الابتلاء بـالنصر ، هـذا وذاك وضعا وفق أسبابها ، ووفق سنن الله الجاريـة في النصر والهزيمـة ، لتتعلم هذه الجماعة أسباب النصر والهزيمة ، ولتزيـد طـاعـة الله ، توكلاً عليه ، والتصاقاً بركنه ، وتطبيقاً لشرعه ، ولتعرف طبيعـة هـذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين » .



شهداء أحد

☆ آمنت قلوبهم بالله رباً ، وبمحمد بن عبد الله رسولاً نبياً ، فاسترخصت البذل والعطاء والفداء لأن موعدها الجنة ، وهذه عقيدة في الإسلام فعلت الأعاجيب .

استشهد من المسلمين يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين القرشيين أربعة نفر[1] :

١ ـ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه .

٢ ـ عبد الله بن جحش .

٣ ـ مصعب بن عمير .

٤ ـ شمَّاس بن عثمان .

واستشهد من الأنصار :

٥ ـ عمرو بن معاذ بن النعمان .

---

(١) ابن هشام ، جـ ٣ ص ٥٩ . وراجع : مجموعة أسماء أهل بدر وأُحد المسمَّاة : (بجالية الكُرَب بأصحاب سيد العجم والعرب) ، لجعفر بن حسن البرزنجي ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم : و ـ ١٨٢٧ .

٦ ـ الحارث بن أنس بن رافع .
٧ ـ عمارة بن زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس .
٨ ـ سلمة بن ثابت بن وقش .
٩ ـ عمرو بن ثابت بن وقش .
١٠ ـ ثابت بن الدَّحْداح الأوسي .
١١ ـ رفاعة بن وقش .
١٢ ـ أبو حذيفة اليمان حسيل بن جابر .
١٣ ـ صيفي بن قيظي .
١٤ ـ حباب بن قيظي .
١٥ ـ عباد بن سهل .
١٦ ـ الحارث بن أوس بن معاذ .
١٧ ـ إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو .
١٨ ـ عبيد بن التيهان .
١٩ ـ حبيب بن يزيد بن تَيم .
٢٠ ـ يزيد بن خاطب بن أُمية بن رافع .
٢١ ـ أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد .
٢٢ ـ حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك (غسيل الملائكة) .
٢٣ ـ أنيس بن قتادة .

٢٤ ـ أبو حية بن عمرو بن ثابت ، أخو سعد بن خيثمة لأُمِّه .

٢٥ ـ عبد الله بن جبير بن النعمان ، أمير الرماة .

٢٦ ـ خيثمة أبو سعد بن خيثمة .

٢٧ ـ عبد الله بن سلمة .

٢٨ ـ سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس .

٢٩ ـ عمرو بن قيس .

٣٠ ـ وابنه : قيس بن عمرو بن قيس .

٣١ ـ ثابت بن عمرو بن زيد .

٣٢ ـ عامر بن مخلد .

٣٣ ـ أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك .

٣٤ ـ عمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو .

٣٥ ـ أوس بن ثابت بن المنذر .

٣٦ ـ أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب (عم أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ) .

٣٧ ـ قيس بن مخلد ، من بني مازن بن النجار .

٣٨ ـ كيسان ، من بني مازن بن النجار ، عبد لهم ،

٣٩ ـ سُلَيْم بن الحارث . من بني دينار بن النجار .

٤٠ ـ نعمان بن عبد عمرو .

٤١ ـ خارجة بن زيد بن أبي زهير .

٤٢ ـ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير .

٤٣ ـ أوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان .

٤٤ ـ مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر (أبو أبي سعيد الخدري[١]) .

٤٥ ـ سعيد بن سُويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر[٢] .

٤٦ ـ عتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد .

٤٧ ـ ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة .

٤٨ ـ ثقف بن فروة بن البدي .

٤٩ ـ عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش .

٥٠ ـ ضمرة ، حليف لبني طريف ، رهط سعد بن عبادة .

٥١ ـ نوفل بن عبد الله .

٥٢ ـ عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .

٥٣ ـ نعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم .

٥٤ ـ المجذر بن ذياد البلوي .

٥٥ ـ عبادة بن الحساس .

---

(١) اسم أبي سعيد الخدري : سنان ، ويقال : سعد .

(٢) البَجَر : خروج السُّرَّة وغلظ أصلها ، قال ابن سيده : البُجْرة : السُّرَّة من الإنسان والبعير عظمت أو لم تعظم ، وبَجَرَ بَجْراً فهو أبْجَر إذا غلظ أصل سُرَّته ، وقيل : الأبجر : الذي خرجت سُرَّته ، لسان العرب ، جـ ٤ ص ٣٩ .

٥٦ ـ رفاعة بن عمرو .

٥٧ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام .

٥٨ ـ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .

٥٩ ـ خلاد بن عمرو بن الجموح .

٦٠ ـ أبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح .

٦١ ـ سليم بن عمرو بن حَديدة .

٦٢ ـ ومولاه « عنترة » .

٦٣ ـ سهل بن قيس بن أبي كعب بن القين .

٦٤ ـ ذكوان بن عبد قيس .

٦٥ ـ عبيد بن المعلى بن لوذان .

٦٦ ـ مالك بن نميلة المزني .

٦٧ ـ الحارث بن عدي بن خرشة بن أُمية بن عامر بن خطمة .

٦٨ ـ إياس الخزرجي ، من بني سواد بن مالك بن مالك .

٦٩ ـ إياس بن عدي ، من بني عمرو بن مالك بن النجار .

٧٠ ـ عمرو بن إياس ، من بني سالم بن عوف .

☆ أخبر عليه الصلاة والسلام عن شهداء أُحد أن من زارهم وسلَّم عليهم إلى يوم القيامة ردُّوا عليه السَّلام . وكان ﷺ يأتي قبورهم على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عُقْبى الدار .

☆ ☆ ☆

وَقُتِلَ مِنَ المشْرِكينَ يومَ أُحُدٍ :

١ ـ طلحة بن أبي طلحة .

٢ ـ أبو سعيد بن أبي طلحة .

٣ ـ عثمان بن أبي طلحة .

٤ ـ مسافع بن طلحة .

٥ ـ الجلاس بن طلحة .

٦ ـ كلاب بن طلحة .

٧ ـ الحارث بن طلحة .

٨ ـ أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف .

٩ ـ أبو زيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .

١٠ ـ صؤاب غلام أبي زيد بن عمير .

١١ ـ القاسط بن شُريح بن هاشم بن عبد مناف .

١٢ ـ عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد .

١٣ ـ أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .

١٤ ـ سباع بن عبد العزى .

١٥ ـ هشام بن أبي أُمية بن المغيرة .

١٦ ـ الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة .

١٧ ـ أبو أُمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .

١٨ ـ خالد بن الأعلم .

١٩ ـ عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح « أبو عزة الشاعر » .

٢٠ ـ أُبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

٢١ ـ عبيدة بن جابر .

٢٢ ـ شيبة بن مالك بن المضرّب .

اثنان وعشرون رجلاً ، وردت أسماؤهم في قتلى أُحد من المشركين .

☆ ☆ ☆

المحتوى

☆ ☆ ☆

الصور والمصوَّرات